وزارة التعليـم العالـي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح –ورقلة–
كليـة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية



مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

فرع: فلسفة

تخصص: تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبتين:
أمال كريبع
مبروكة لقوقي

الاتجاه الطبيعي الروسوي في فلسفة التربية الحديثة

نوقشت و أجيزت علنا بتاريخ: 2016/05/24

أمام اللجنة المتكونة من السادة:

الأستاذ/ محمد الصديق بن غزالة (أستاذ مساعد –أ– جامعة قاصدي مرباح . ورقلة) رئيسًا

الدكتور/ عبد الله لبوز(أستاذ محاضر –أ– جامعة قاصدي مرباح . ورقلة) مشرفا ومقررًا

الأستاذ/ رياض طاهير (أستاذ مساعد –أ– جامعة قاصدي مرباح . ورقلة) ممتحنًا

السنة الجامعية: 2016/2015

وزارة التعليـم العالـي والبحث العلمـي
جامعة قاصدي مرباح –ورقلة-
كليـة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية



مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي
فرع: فلسفة
تخصص: تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبتين:
أمال كريبع
مبروكة لقوقي

الاتجاه الطبيعي الروسوي في فلسفة التربية الحديثة

نوقشت و أجيزت علنا بتاريخ: 24 /2016/05
أمام اللجنة المتكونة من السادة:
الأستاذ/ محمد الصديق بن غزالة (أستاذ مساعد -أ- جامعة قاصدي مرباح . ورقلة) رئيسًا
الدكتور/ عبد الله لبوز (أستاذ محاضر -أ- جامعة قاصدي مرباح . ورقلة) مشرفا ومقررًا
الأستاذة/ رياض طاهير (أستاذ مساعد -أ- جامعة قاصدي مرباح . ورقلة) ممتحنًا

السنة الجامعية: 2016/2015



شكر وعرفان

الشكر والفضل لله الذي منّ علينا بنعمته فالشكر والحمد له
كما لا يفوتنا أن نشكر الأستاذ المشرف الدكتور لبوز عبد الله الذي لم يبخل علينا بالنصح والتوجيه فله كل الشكر و التقدير والامتنان على صبره معنا
إلى الأستاذ طاهير رياض رئيس شعبة الفلسفة الذي قدم لنا النصح والتوجيه
إلى الأستاذ الدكتور سعد الله علي
الأب الروحي لتخصص الفلسفة في جامعة قاصدي مرباح ورقلة
إلى الأستاذ بن قويدر عاشور الذي رافقنا طوال الخمس سنوات في هذا التخصص
وإلى جميع الأساتذة في شعبة الفلسفة
لعموري شهيدة والزيغمي أحمد وبن غزالة محمد الصديق والأستاذ عمر برابح وبوحفص عباس
دون أن ننسى السيد عمر حمداوي رئيس قسم العلوم الإنسانية

قائمة المحتويات

المبحث الثالث: مؤثرات الفكر الروسوي فيما بعد الاتجاه الطبيعي تقييم ونقد.

المطلب الأول: ابرز المؤيدين.

المطلب الثاني: أهم الانتقادات الموجهة لروسو وفكره التربوي.

المقدمة

مقدمة:

لكل مجتمع إنساني في أي زمان أو مكان بناؤه الاجتماعي وثقافته التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات، وله تركيبته السياسية والاقتصادية، وله عقيدته وتراثه وقيمه، التي ينشأ حولها فكره وتفكيره وله عاداته وتقاليده ومُثُله العليا التي ينبثق منها توجهاته الفكرية وانتماءاته العقائدية.

لذلك نجد أن التربية حينما تصوغ أهدافها ومبادئها فإنها تسعى جاهدة لأن تكون هذه الأصول متلائمة مع عقيدة المجتمع وفكره والقيم التي يؤمن بها؛ فتعمل على تربية الإنسان في إطاره الاجتماعي بواسطة الأهداف والغايات التي تحددها الفلسفة العامة للمجتمع والمبادئ الأساسية التي يؤمن بها الأمة, والمعتقدات التي يعتنقها أفرادها إذ بدونها تفقد أهداف التربية المصدر الأساسي لها.

وتعتمد الفلسفة التربوية على مفاهيم نظرية تساعد رجال التربية والتعليم على التفكير في قضايا التربية ومشكلاتها بصورة واعية ومنظمة، وتمكنهم من تصور التفاعل بين الأهداف والأغراض التربوية والمواقف التربوية المحددة، والربط بينها لتوجيههم نحو اتخاذ القرار الصحيح، مع فهم ورؤية عميقة للأهداف والتحرك نحو تحقيقها.

إن الاتجاهات الحديثة في فلسفة التربية تميل إلى الاستفادة من التراث القديم ودراسته باعتبار أن فهم الحاضر فهماً سليماً يتطلب الرجوع إلى الماضي المتعلق به، وهذا يعني أن دراسة المناهج القديمة ليست هي غاية في ذاتها بل هي وسيلة لبلوغ هدف تربوي مناسب

للمرحلة التي توصَّل إليها العلم الحديث ومناسب لأنماط الحياة الحاضرة ونابع من الفلسفات الحديثة للتربية.

لذا نجد أن الفلسفة تُعني بدراسة تطور الفكر التربوي عبر العصور المختلفة من خلال كتابات الفلاسفة الذين اهتموا بالتربية وأولَوها جلَّ عنايتهم مثل أفلاطون، وجان جاك روسو، وجون ديوي... إلخ وذلك من أجل تمكين دارس الفلسفة التربوية من تكوين نظرة واسعة للمشكلات التربوية وتتبع الأفكار المعاصرة في أصولها التاريخية.

تعتبر الفلسفة التربوية التي يُبلْورها الفلاسفة والمفكرون التربويون النسق الفكري المتكامل الذي يناقش قضايا المجتمع التربوي ويضعها في قالبها الصحيح، كذلك هي الفلسفة الطبيعية التي ضاع صيتها في أوروبا إبان القرن الثامن عشر(18م)والتي شكلت ونزعتها التربوية بزعامة الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو إنعطافا كبيرا في مضمار الفكر الفلسفي والميدان التربوي، مما كان لذلك من الأثر على المدارس الفلسفية المختلفة، فالحركة الطبيعية لم تكن مدرسة فلسفية سعت لملء مناطق الفراغ التي تولدت من الأزمة الفلسفية والتربوية التي عانت منها المدارس السابقة عليها والمعاصرة لها وحسب، وإنما حملت راية النقد للمدارس الفلسفية والتقاليد الفكرية والتربوية التي أشاعتها في أوساط الجمهور.

هذا كله جعل من مشروع النقد الطبيعي ثورة على الرصيد الفلسفي والتربوي التقليدي؛ هذا ما أراده روسو، فمن خلال ماأبدعه روسو في هذا المجال ومن خلال نزعته الطبيعية وهو موضوع هذه الدراسة نطرح الإشكالية على النحو الأتي: ما المقصود بالتربية؟

كيف تطورت التربية من المفهوم الكلاسيكي إلى المفهوم الحديث؟ وما هي المؤثرات التي بلورت الفكر التربوي عند روسو؟ ما هي أهم الأفكار التربوية التي تضمنها كتاب إميل؟ هل هدف التربية عند روسو هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش؟ وما هي إمتدادات الفكر التربوي عند روسو؟

وهذا مادفعنا لتقسيم هذه الدراسة إلا ثلاث فصول، حيث كان الفصل الأول بعنوان روسو رائد التربية الغربية الحديثة، قسمناه إلى مبحثين، المبحث الأول بعنوان ماهية التربية والمبحث الثاني بعنوان روسو والحركة الطبيعية في التربية.

أما بالنسبة للفصل الثاني فقد تناولنا فيه الفكر التربوي عند جان جاك روسو، كذلك قسمناه إلى مبحثين الأول بعنوان دور الطبيعة في بناء الفكر التربوي عند روسو، أما المبحث الثاني والمعنون بأهم الأفكار التربوية عند روسو وقد حاولنا أن نسلط الضوء على مفهوم التربية عنده وأهم الأفكار التي تضمنها كتاب أميل.

أما الفصل الثالث فقد كان إمتدادا لما قبله من الفصول وقد كان تحت عنوان إمتدادات الفكر التربوي عند روسو، قسمنا الفصل الأخير إلا مبحثين أيضا حاولنا أن نتناول الأفكار التربوية عند كل من جون ديوي وجان بياجي في المبحث الأول، أما عن المبحث الثاني فكان عبارة عن تقييم ونقد للبحث.

أما بالنسبة **لأسباب إختيارنا للموضوع** فتمثلت في:

الأسباب الذاتية: تتمثل في ميلنا الشخصي نحو الغوص في دخاليج الفكر التربوي عند روسو واهم أفكاره التربوية من خلال كتابه إميل الذي كان يعتبر فاصلا بين عصرين

التربية القديمة والتربية الحديثة.

الأسباب الموضوعية: تمثلت في:

- محاولة تسليط الضوء على فكر روسو التربوي من خلال الحركة الطبيعية واكتشاف الأفكار التي يتضمنها كتاب إميل ذلك الكتاب الذي كان يعد بمثابة صرح جديد في التربية ضاع صيته في العصر الحديث.

- محاولة تسليط الضوء أيضاعلى أبرز أعمدة الفكر التربوي الحديث، وابراز تأثيرها على العصر المعاصر.

أما بالنسبة **لأهداف الدراسة** فتتمثل فيمايلي:

. ضبط مفهوم التربية وأهميتها عبر العصور تأكد ضرورتها في الوجود الإنساني.

. اكتشاف أهم المؤثرات التي ساهمت في بناء الفكر التربوي عند روسو، ودور الطبيعة في ذلك.

. أهم الأفكار التربوية التي تضمنها كتاب إميل.

. امتدادات الفكر التربوي فيما بعد القرن الثامن عشر(18م).

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فوفقا لطبيعة الموضوع وجب علينا أن نستخدم مايلي:

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على **المنهج التحليلي** كأساس في تحليلينا للأفكار التربوية عند روسو كما اعتمدنا كذلك على **المنهج النقدي** وهذا يرجع إلى طبيعة موضوع

الدراسة إضافة إلى **المنهج المقارن** من خلال مقارنتنا بين الحالة الطبيعية والمدنية عند روسو، أيضًا إعتمدنا على **المنهج التاريخي** بهدف قراءة أحداث التربية عبر العصور.

وطبعًا لايخلو أي بحث من عيوب كانت أسبابها العديد من الصعوبات التي تواجه الباحث أثناء بحثه ومن هذه **العراقيل** نذكر مايلي:

- تراكم الكم المعرفي فيما يخص الأفكار وطريقة عرضها وتقسيمها وتوزيعها على النحو الذي يخدم الخطة وهذا راجع لطبيعة الموضوع، إضافة إلى قلة المراجع.

الفصل الأول

روسو:

رائد التربية الغربية الحديثة

الفصل الأول:

روسو: رائد التربية الغربية الحديثة

المبحث الأول: ماهية التربية

المطلب الأول: مفهوم التربية

إذا ذكرت لنا كلمة التربية من الوهلة الأولى فسنذهب بأفكارنا إلى أبعد من ذلك، فالتربية موضوع يخص الآباء والمعلمين والفلاسفة أيضا لذلك تأخذ عدة معاني لأنها عملية ضخمة إن صح التعبير تتصل بحياة كل فرد مهما كان موقعه وثقافته[1]، لذلك اختلفت تعريفاتها وسنوضح ذلك فيما يلي:

التربية لغة Education:

تشير أغلب المعاجم العربية والأجنبية إلى معاني متقاربة لمفهوم التربية، ففي اللغة العربية تتضمن ثلاث مدلولات: فالمدلول الأول من فعل «رب، يربي» بمعنى زاد ونمى. وورد في معجم لسان العرب: ربى الشيء، يربوا، ربا زاد ونمى وأربيته نميته وقد ورد في قوله تعالى: «فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت» (سورة الحج /5) أي زادت وانتفخت بسبب ما يتدخلها من الماء والنبات[2].

1- عبد الكريم بكار، **حول التربية والتعليم**، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، دمشق، 2011، ص12.

2- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 3 القاهرة، دار المعارف، ص1547.

أما المدلول الثاني فهو يشير إلى أن التربية جاءت من الفعل"يربي" على وزن يخفي ومعناه النشأة والترعرع.

أما المدلول الثالث فيدل على لفضها بأنها جاءت من الفعل "يربى" بوزن يمد وتعني أصلحه وتولى أمره ورعاه، ولهذا فمدلولها اللغوي في اللغة العربية يظهر أنها تتمحور حول النشأة والرعاية والإصلاح[1].

ومن المعاني الثلاثة أو المدلولات التي توضح لنا معنى التربية نجد أن التربية تعني الزيادة والنمو والرعاية والإصلاح.

ولقد ورد مصلح التربية في المعاجم والموسوعات الفلسفية، إذ أننا نجد عند (لالاند) في موسعته الفلسفية يقدم لنا مفهوم التربية بمعانيها العام والخاص:

ففي المعنى الأول يشير إلى أنها تقوم على تطوير وظيفة أو عدة ووظائف، تطويرا تدريجيا عن طريق التجربة والتدريب وتظهر من عمل الفرد ذاته.

أما المعنى الخاص فيتمثل في عمليات إجرائية يتم بها تدريب الأفراد عن طريق إبراز مؤهلاتهم، وتشجيعهم على حمل عادات مجتمعهم كما تعني تهذيب الحواس لدى الفرد في تقبل إدراكات حسية جديدة مع تنظيم باقي الظواهر النفسية لكل فرد[2].

---

[1]– البار عبد الحفيظ، **فلسفة التربية**، جون ديوي مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة جامعة منتوري قسنطينة، 2009/ 2010.

[2] أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد الأول، ترجمة خليل أحمد خليل منشورات عويدات، الطبعة الثانية، بيروت، 2001م ص22.

ومن هذا المفهوم يتبين لنا أن التربية تنطلق من المجتمع إلى الفرد، وتتجه نحوى تهذيب سلوكات الفرد وتنمية وظائفه الحسية والعقلية النفسية.

ونجدها كذلك في معجم فلسفي لجميل صليبا تشير إلى تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئًا فشيئًا، تقول ربيت الولد إذا قويت ملكاته ونميت قدراته وهذبت سلوكه حتى يصبح صالح للحياة في بيئة معينة، تربي الرجل إذ أحكمته تجارب ونشأ نفسه بنفسه[1].

وهناك تعريف آخر يرى أنها تعني التغيرات المتباعدة التي تحدد للفرد والتي تؤثر في معرفته واتجاهاته وسلوكه كنتيجة للدراسة والتعليم المدرسي[2].

وبعدما تناولنا المفهوم اللغوي للتربية التي تعددت مفهوماته بأوجه مختلفة نتطرق إلى المفهوم الإصلاحي للتربية.

التربية اصطلاحًا:

أما المفهوم الاصطلاحي للتربية، فهذه الأخيرة تشير إلى نوع من أنواع النشاط التي قيمته إيجابية في المجتمع الذي يعيش فيه حتى تمكنه من أن يحيا حياة سوية فيه وهي أوسع مدى من التعليم الذي يشمل المراحل المختلفة التي يمر بها المتعلم للرقي مستواه في المعرفة في دور العلم.

---

[1]- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**،ج1، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، 1982، ص266.

[2]- محمد منير مرسي، **فصول التربية**، عالم الكتاب، طبعة جديدة، القاهرة 2001 م، ص09.

والتربية أيضا هي مجموعة من الوسائل والسبل التي ينتجها الفرد من أجل تنمية القدرات والمواقف والمسالك التي يقبلها مجتمعه، أو إيجاد خبرات تعليمية مضبوطة في بيئة معينة، وهي أيضا، جميع الوسائل المدروسة والمواجهة التي يستخدمها الناس في عملهم من أجل تحصيل الثقافة الخاصة بهم والإسهام العقلي فيها[1].

أما الفلاسفة فقد قالوا في تعريف التربية ما يلي:

تناول أفلاطون platon(427-347 ق.م)[2] التربية بإسهاب في كتاباته خاصة كتابه "الجمهورية" فالتربية عنده هي الأساس الذي يسعى من خلاله لقيام مدينته الفاضلة.

ومن تعريفات أفلاطون للتربية أيضا، قوله: " التربية هي إعطاء الجسم والنفس كل جمال وكمال ممكن"[3].

نلاحظ هنا أن أفلاطون يعتبر التربية عملية ترويض عقلي.

وكذلك يعرفها بأنه تدريب الفطرة الأولى للطفل على الفضيلة من خلال اكتسابه العادات المناسبة وهو يرى أن الاتجاه الذي سارت فيه التربية منذ البداية يحدد مستقبل حياة الفرد[4].

---

[1]- فاروق عبده فلية وأحمد عبد الفتاح الزكي، **معجم مصطلحات التربية لفظًا واصطلاحًا**، دار الوفاء، الطبعة الأولى، مصر، 2004، ص87.

[2] أفلاطون platon (427-347 ق.م) أعظم فيلسوف في العصور القديمة، صاحب الأكاديمية، كان يهيأ التلاميذ لدراسة الفلسفة في حد ذاتها وفي تطبيقها على السياسة ،كان أفلاطون تلميذ سقراط، ترك ورائه الكثير من المحاورات والمؤلفات كان من أشهرها الجمهورية عاش في مدينة أثينا وترعرع فيها وفيها أسس أكاديميته، أنظر كتاب ديف روبنسون وجودي جروفرز، أقدم لك أفلاطون، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى ،2001م، ص10-11.

[3]- لطيفة حسن الكندي وبدر محمد ملك، **تعليق أصول التربية**، مكتبة الفلاح، الطبعة الثالثة، الكويت،2005، ص36.

[4]- محمد منير مرسي، مرجع سابق، ص10.

التربية في نظره تعد المدخل الحقيقي للضبط الاجتماعي ويجب أن تكون ديناميكية قادرة على تكوين المهارات وتدعيم القدرات الخاصة للأفراد، فنجد في كتاب الجمهورية ما أطلق عليه بالتربية العامة تنقسم هذه الأخيرة إلى قسمين:الأولى هي تربية البدن. والثانية هي التربية الموسيقية التي تخاطب الروح أما التربية البدنية تؤدي إلى تدعيم الخشونة والصلابة بينما تؤدي التربية الموسيقية إلى تدعيم الإحساس والرقة والذوق الرفيع[1].

أما عن الفيلسوف الذي لقب بالمعلم الأول أعطى رأيه في التربية وهو أرسطو طاليس**ARISTOTE**[*] (384.322 ق.م) الذي أعتبرها فرعا من فروع السياسة، لأنها خدمة أساسية وضرورية لبناء المجتمع الأمن وإعداد المواطن الصالح فهو يرى بأنها النمو المنسجم للفرد بالشكل الذي يؤدي إليه التطور الواعي لقدراته الفطرية وكذلك فلاسفة العصر الوسيط تناولوا التربية ونأخذ أوغسطين**AUGUSTIN**[2] مثال ذلك فهو يرى أن التربية تهدف أساسا إلى الإصلاح الخلقي للفرد وإنقاذ روحه بالإيمان بالله ونبذ العالم والتخلي عن شهوات الجسد والإعداد للحياة السعيدة في العالم الآخر[3].

---

[1]– عبد الله عبد الدائم، التربية عبر العصور، دار العلم، الطبعة الأولى، بيروت، 1973، ص63.

[*] أرسطو طاليسARISTOTE(384_322ق.م)، هو تلميذ أفلاطون ومعلم الأسكندر الأكبر كتب في العديد من المواضيع لذلك تقسم آثاره إلى قسمين مختلفي الطابع والأسلوب: هما قسم المحاورات والمواعظ نسج فيه أرسطو على منوال أفلاطون وقسم المباحث أو المقالات العلمية من أهم كتبه المقولات والعبارات، في الكون والفساد، في النفس وغيرها؛ أنظر كتاب ماجد فخري، أرسو طاليس المعلم الأول، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى، بيروت، 1985، ص12–13.

[2*] أوغسطينAUGUSTIN: أشهر أباد الكنيسة اللاتينية ولد في طاجسط سوق أهراس اليوم بنومديا في 13 تشرين الثاني 354م، مات في إيبونا في 4 ب آب 430م، كان أبوه وثنيا وأمه نصرانية وأشهر مؤلفاته مدينة واعترافات أوغسطين. راجع جورج طرابيش، معجم الفلاسفة، (الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصفون) دار الطليعة، الطبعة الثالثة، لبنان 2006، ص118.

1– سعيد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص 193.

أما فيلسوف العصر الحديث جان جاك روسو* (1712-322 ق.م) الذي كتب في التربية فهو يرى بأنها واجب أن تعمل على تهيئة الفرص الإنسانية، كي ينمو الطفل على طبيعته انطلاقا من ميوله واهتماماته.

أما عن أهمية التربية فهي تكمن باختصار في البناء والإصلاح والصنع والسعي لخلق حالة من التوازن بين الحاجات وترويض الغرائز والرغبات وهي كذلك تتكلف ببناء الجوانب الثلاث في الإنسان الجسم العقل والروح، على أساس القيم والمعايير المدروسة، وعلى استقلال الشخصية والعدالة الاجتماعية، ومعرفة الجميل واختيار الأفضل وعلى الأسس الأخلاقية والإنسانية[1].

مما ذكر نلاحظ بأن للتربية أهمية كبيرة في ذات الفرد، وكذلك في المجتمع الذي يعيش فيه، فهي ترقي الفرد ولها دور كبير في تقدمه كما أنها ضرورية لبناء دولة عصرية.

وهي أيضا عملية يحتاج إليها الفرد والمجتمع، لأنها أساس البناء والتكوين الخلقي الذي هو أساس تكوين المجتمعات وبنائها على أسس سليمة وكذلك تبرز أهميتها في زيادة

*جان جاك روسو j.j.ROUSSEAU (1712-1778) ولد في جنيف كاتب وأديب وفيلسوف.. لقد قدر لمحل ميلاده وطفولته المبكرة أن يتركا انطباعات عميقة على حياته ونموه الفكري، كان روسو الأثر الكبير في تاريخ الفكري الأوروبي المعاصر، فلم يساهم مفكر مثله من مفكري القرن الثامن عشر بكم أكبر من كتابات المهمة في نطاق كبير جدا من الموضوعات وبأشكال مختلفة من أشكال الكتابة ولم يصارعه أحد في كتابته من حيث الحماس المتقد والصحافة البليغة ولم يتمكن أحد غيره –من خلال أعماله وحياته– من أن يثير الخيال العام أو يتركه بهذا القدر من العمق ويكاد يكون روسو وحده بين أبرز رموز التنوير الذي عرض التيارات الأساسية للعالم الذي عاش في جنباته إلى أكثر الانتقادات إلهاما حتى حين كانت غايته الطعن في مسارها، كان لروسو بطبيعة الحال العديد من الاهتمامات بخلاف السياسة فقد كان مؤلفا موسيقيا محبوبا جدا ،ومؤلفا لقاموس كبير ومهم للموسيقى، وهو الموضوع الذي ربما استدعى انتباه أكثر من غيره طيلة حياته يعد كتاب إميل من أهم مؤلفاته في التربية أيضًا إلى أحلام جوال منفرد واعترافات جان جاك روسو للمزيد أنظر كتاب روبورت ووكلر، مكتبة هنداوي،'الطبعة الأولى، القاهرة، 2014، ص12-13.

[1] علي القائمي، تربية الطفل دينيا وأخلاقيا، مكتبة فخراوي، الطبعة الأولى، الأردن، 1995، ص128.

قدرة الشعوب على مواجهة التحديات العصرية والحضارية وفي جوانب أخرى، بكونها عامل هام في التنمية الاقتصادية وأيضا عامل هام في إرساء الديمقراطية الصحيحة نظرا لأن التربية ترتبط بالتعليم ارتباطًا وثيقًا، وتعتبر أساس التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية، فأصبحت إستراتيجية قومية كبرى لشعوب العالم فهي تمثل الجانب الرئيسي من جوانب الاستراتيجيات العالمية فهي التي تخلق الإنسان الواعي الذي يعتمد عليه وطنه[1].

فعلاً نجد أن للتربية أهمية بالغة برزت في تطوير هذه الشعوب وتنميتها الاجتماعية والاقتصادية، وإرساء الديمقراطية الصحيحة والتماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية وتعد أيضًا عامل هام في إحداث التغيير الاجتماعي.

المطلب الثاني: التربية عبر العصور

لن نبدأ تاريخنا للتربية متسائلين: هل كان آدم مربيًا؟ ولن نسلك مسلك من قالوا: هل كان آدم فيلسوف؟

فعلى الرغم من أن التربية وجدت منذ أن وجد أباء وأمهات رعوا أولادهم إلا أنه يتوجب علينا إلقاء نظرة حول تاريخ الفكر التربوي لأن العوامل التاريخية تؤثر في التقدم والتخلف الذي تشهد المجتمعات والأمم عامة.

لذلك سنحاول في هذا المبحث أن نلقي نظرة خاطفة على التربية عبر العصور الثلاث القديم والوسيط والعصر الحديث لنقف على معالم فلسفة أفلاطون ونزعته المثالية في التربية ثم نتسلل إلى العصر الوسيط لنتعرف على إسهامات القديس أوغسطين وغيره من

[1] أحمد محمد الطيب، أصول التربية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، مصر، دبي، ص28.

فلاسفة العصر الوسيط في هذا المجال وكيف كانت الظروف الاجتماعية والثقافية، بعد ذلك كله سنبحر في العصر الحديث ونكشف معالم وخفايا التربية في ذلك العصر.

أولا: العصر اليوناني

إذا أردنا الحديث عن التربية عند اليونانيين القدامى فسنجدها ترتبط ارتباطا وثيقا بالفيلسوف أفلاطون خاصة في كتابة الجمهورية لكن قبل الخوض في تفاصيل فلسفة التربية الأفلاطونية سنسلط الضوء قبل ذلك على أحوال عصر الإغريق وأهم ما ميز التربية اليونانية، فقد كانت هذه الأخير تتميز بروح التجديد والابتكار وروح الحرية الفردية.

فاليونان أفسحوا مجالا واسعا لنمو الشخصية الفردية في جميع مظاهرها السياسية منها والخلقية والعلمية والفنية وجعلوا غاية التربية لديهم أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة الجميلة، لذلك كان التركيز الروحي للفرد موضوع عينياتهم وتكامله النفسي أو تحقيق الانسجام بين كماله الروحي وكماله الجسدي المثل الأعلى لهم[1].

نلاحظ هنا أن التربية اليونانية أرادت لشخصية الفرد أن تظهر في أبهى حلة لها من خلال التكامل الروحي والجسدي فهذا الامتزاج أو التزاوج إن صح التعبير له أثر كبير في إنماء شخصية الفرد، ليس هذا فقط بل يعتبر اليونانيون أنه جسر يصل من خلاله إلى الحياة السعيدة وهذه هي بوضوح غاية التربية اليونانية ونلمس هذا في محاورة بروتاجوراس[2]

1- د. عبد الله عبد الدايم، **التربية عبر التاريخ**، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت، 1984، ص53.

2* بروتاجوراس: ولد نحو (411/475ق م) سفسطائي يوناني صاحب مذهب حسي ونسبي وصاحب القول المشهور " الانسان مقياس الأشياء طرأ " انظر جورج طربيشي، مرجع سابق، ص170.

لأفلاطون في الحوار الذي دار بين السفسطائيين وسقراط[1] حينما طرح هذا الأخير عليهم هذا السؤال:

سقراطSOCRATE : «والآن أيها الصحاب، ماذا ترون في هذا؟ أليس كل أنواع السلوك التي تهدف إلى حياة بلا آلام وممتعة، أليست جميلة؟ أو أليس الفعل الجميل خير ومفيد؟ فوافقوا على ذلك[2].

من هذا القول يتبين لنا أن سقراط يرى أن السلوك الذي يؤدي في النهاية إلى حياة تخلو من الآلام أي حياة سعيدة وممتعة سلوك جميل ومفيد وأن الفعل الجميل مفيد وقد وافقه السفسطائيون في ذلك هذا ببساطة وباختصار ما كان مكان يدور في دخاليج الحياة الاجتماعية والثقافية لليونان القدامى فيما يخص التربية.

لكن لم يكن سقراط وحده أو السفسطائيين وحدهم من تكلموا عن التربية والسلوك كما قلنا سابقا فأفلاطون يعد كذلك من أبرز الفلاسفة في ذلك العصر الذين اهتموا بهذا المجال وأخلصوا له فقد تجلت أفكاره التربوية في العديد من كتبه ككتاب الجمهورية.

نعم إن الجمهورية[3] تحتوي بعض الآراء التربوية الجميلة وبعض النصائح العلمية الرشيدة فالهدف الأساسي من التربية عند أفلاطون هو إصلاح الفرد والمجتمع والوصول إلى

1سقراط SOCRATE(399/470 ق.م) فيلسوف يوناني ولد في ألوبيكة بآتيكا ولا نعرف سقراط مباشرة لأنه لم يكتب شيئا انظر جورج طرابيشي،مرجع سابق، ص365.

2- أفلاطون، **في السفسطائيين والتربية** (محاولة بروتاجوراس) ترجمة وتقديم د- غرت قرني، دار قباء للنشر، الطبعة الأولى القاهرة 2001، ص164.

[3]- عبد الله عبد الدايم، **التربية عبر التاريخ**، مرجع سابق، ص63.

المعرفة الخير وذلك عن طريق تنمية هذه المعرفة وطبع النفس الإنسانية على الحق والخير والجمال[1].

سنتعمق أكثر في الفكر التربوي الأفلاطوني من رؤية شاملة متماسكة البنى، فهو يركز بادئ بدء على طبيعة الطفل هذا الأخير هو بكل الأحوال موضوع التربية، فهو يتناول المسألة من الجذور، وتحديدا قبل الزواج فهو يرى أن يكون للزوجين نفس الطبيعة أي يتشابهان، لكي يتفقا ويؤسسا أسرة ناجحة «إن المواطن الشجعان سيمنحون فرصا للزواج تفوق فرص الآخرين، وأننا سنختار لهم نساء كثيرات متشابهات لهم لينجبوا أكبر عدد من الأطفال»[2].

ويتبين لنا مما سبق أن أفلاطون خصص للتربية جانبا في كتبه وأعطاه أهمية كبيرة جدا لدرجة أنه لاقا الكثير من الثناء خاصة من الفيلسوف جان جاك روسو فلقد ذهب روسو في كتابه "أميل" إلى حد القول: «إن الجمهورية هي أحسن كتاب عالج التربية، وأنه وليس بنية كتاب في السياسة»[3] ورغم هذا الحكم الذي أطلقه هذا الفيلسوف، إلا أن الدارسين قد أحصوا كثيرا من العيوب في جمهورية أفلاطون والذي يهمنا من هذا المسائل التالية:

- تكريسها للأرستقراطية أي حرمان الطبقات الفقيرة من التعليم.

[1]- راجع مقدمة المترجم فؤاد زكريا لجمهورية أفلاطون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1985، ص51.

[2]- المصدر السابق، ص348.

[3]- L'isez la république de ploton ,ce n'est point un ouvrage de politique , comme le pensent aux qui ne jugent des livres que .par leur titre , c'est le plus beau traité d'éducation qui 'on eit janais fait.
[jj.Rousseau: Emile ou de l'éduaction, Edition Gallimard, FORANCE 1999 .P86]

- إهماله للأعمال اليدوية (الصناعات التطبيقية وجعلها من مهام العبيد) يعني أنه أهمل التربية التطبيقية.

I. التربية في العصر الوسيط:

رأينا فيما سبق أن اليونانيون اهتموا بشخصية الفرد وأفسحوا المجال واسعا لنموها، وجعلوا غاية التربية لديهم أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة والممتعة كان هذا باختصار ما تميزت به التربية اليونانية.

ننتقل إلى التربية في العصر الوسيط فإذا أردنا أن نلقي نظرة على الفكر التربوي في العصر الوسيط فسيبدو لنا من الوهلة الأولى أنه متعلق بالدين، أي الدين المسيحي فالمسيحية قدمت بعقائدها وبفكرة المساواة التي قررتها أو بروح الإحسان والمحبة عناصر جديدة بدت قادرة على رفع مستوى التربية الخلقية إلى أبعد الحدود فقد كان مذهب المسيح استرداد لحرية الإنسان وتوليدا للكرامة الفردية ، كذلك كان هدفها هو إنماء الشخصية الإنسانية تماما مثل التربية اليونانية.

وسنحاول في هذا المبحث إلقاء نضرة خاطفة عن الحياة في هذا العصر والظروف التي كانت تسيطر على الغرب، ونستطيع القول هنا أن الغرب عاشوا من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الرابع عشر في ظلام دامس، وغاب العقل عن واقع الحياة إلا في أحوال نادرة ومحاولات متفرقة بسبب سيطرة رجال الدين.

لقد سيطر رجال الدين النصارى على حياة الناس، فصادروا حرية التفكير والتعبير وأثقلوا المجتمع بدفع المبالغ الباهظة للكنيسة حتى يشتروا الجنة بما يسمى بصكوك الغفران[1].

إضافة إلى ذلك أنهم احتكروا حق مطالعة الكتب على طائفة رجال الدين فقط وعدم تشجيع العلماء والبحث العلمي مما سبب الضمور العلمي من أقوال القديس أوغسطين في مدح الجهل وتعريفه للعامة «إن الجهلاء هم الذين يحفظون بملكوت السماء»[2] لذلك كانوا يؤمنون بالخرافات والتبرك والتمسح بالعور والصليب.

وليس هذا فقط لكنهم كانوا يحتقرون المرأة أيضا يسلبونها حقوقها المادية والإنسانية كتوماس الأكوينيTHOMAS DAQUIN * وهو من أبرز علماء اللاهوت في القرن 13م وقد أشار الفيلسوف والمؤرخ (ديورانت) إليه حيث يقول «ولم يكن توماس خيرا من أرسطو في نظرته إلى المرأة وفي تحميلها تبعة الخطيئة الأولى بل جمع فيها رذائل الأولين والآخرين واعتقد أن الطبيعة ترغب على الدوام في إنجاب الذكور... ولهذا فالرجل أشبه بالله من المرأة وعليها أن تخضع له بالسيادة والقيادة في كل الميادين الحياة»[3].

فإذا كان المجتمع يشجع الجهل ويحتقر المرأة فأي تربية هذه التي تنشأ فيه فنلاحظ من هنا أن الحياة في العصور الوسطى عشوائية بكل شكل من الأشكال.

---

[1] لطيفة حسن الكندي، بدر محمد ملك، **تعليقة أصول التربية**، مكتبة الفلاح، الطبعة الثالثة، الكويت، 2008، ص95.

[2] المرجع السابق، ص96.

*توماس الأكويني THOMAS DAQUIN: فيلسوف ولاهوتي من أصل إيطالي، ولد نهاية عام 1224، لقب بالمعلم الجامع للكنيسة وكذلك بالمعلم الملائكي، ومن أشهر كتبه الخلاصة اللاهوتية، راجع جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص241-242.

[3]- المرجع نفسه، ص97.

كما قلنا سابقًا أن التربية عندهم اقتصرت فقط على التقليل من فعل الشر والابتعاد عما هو شر والتوبة وإتباع الفضيلة.

فنلاحظ من هذا كله أن الفلسفة في القرون الوسطى هي فلسفة مسيحية بتوجهها وبممثليها الذين كانوا في معظمهم رجال دين إضافة إلى هذا ظهرت وبعد القرن 9م ظهرت بما يسمى بالسكولائية (المدرسية) ويذكر مفهوم السكولائية إلى تلك الفئة التي تعاملت مع العلوم، وبخاصة إلى الأساتذة الذين كان لهم أثرهم في المدارس التي أسسها شارل الكبير في الكنائس وفي البلاط وغالبا في الجامعات لذلك تعتبر السكولائية أن العودة إلى العلوم المتوارثة والدخول في نقاش نقدي حولها ونقلها للآخر بشكل تعليمي أهم معالمها[1].

ونلاحظ من هذا كله أن ما يسمى بالسكولائية حركت مجرى التعليم والتلقين إذن، نجد هنا أن التربية المسيحية احتوت على الكثير من المبادئ والسلوك والعديد من الفضائل إن صح التعبير التي جعلتها ترسم معالم فلسفتها التربوية.

II. التربية في العصر الحديث:

إذا اطلعنا على التربية في العصور القديمة فإننا سنشعر بالفعل بتلك التغيرات الجذرية التي طرأت على نظرية التربية فلكل عصر ميزته الخاصة وأحواله الخاصة، فكما رأينا سابقا العصر اليوناني والعصر الوسيط سنحاول في هذا المطلب أن نحول في دخاليج التربية في عصر النهضة لكن قبل ذلك سنحاول إلقاء نضرة عامة عن العصر.

[1] – علي مولا، أطلس الفلسفة، المكتبة الشرقية، الطبعة الثانية، بيروت، 2007، ص65.

لقد زالت وتلاشت كل تقاليد العصر الوسيط في هذا العصر وظهرت العديد من التحديات العلمية والفلسفية فهذا العصر كان عصرا اكتشافات واختراعات وتحولات رمت كل قديم.

ونلاحظ في هذا العصر أن الحركة الإنسانية عملت على ترقية التربية وإخراجها إلى أرض الواقع بمساعدة عدة عوامل كان من أهمها الاكتشاف الجغرافية وظهور الطباعة التي ساهمت في بلورة الفكر التربوي في هذا العصر الحديث فسنجد جون لوك* وجان جاك روسو الرائدين العظيمين في ميدان التربية النظرية قبل القرن 19 وقد استحق كلاهما الشهرة التي نالها لأن كلاهما نبذا أخطاء كثيرة كانت شائعة لكن لم يذهب أيهما في اتجاه الخاص إلى المدى الذي ذهبت إليه الأكثرية العظمى من رجال التربية الحديثة فكلاهما مثلا من أهل النزعة التي أدت إلى الحرية والديمقراطية فهذا العصر سمية بعصر النهضة أو عصر التنوير ذلك للتغيرات والتطور الذي نشاهده[1].

*جون لوك هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي ولد جون لوك في 29 أغسطس (1632 وهو نفس اليوم الذي ولد فيه سبينوزا) بانجلترا في أسرة معروفة بمركز ها السياسي، متأثر بديكارت، حصل على درجة ليسانس من جامعة أكسفورد، كانت اهتمامات لوك فلسفية وطبية وسياسية وغيرها من الاهتمامات البشرية حيث ترك ميراثا عقليا في موضوعات شتى منها نظرية المعرفة والسياسة والأخلاق والتربية أهم مؤلفاته: مقالة في العقل البشري، روح التسامح وغيرها للمزيد راجع إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ص253-254.

[1]- وائل عبد الرحمان التل، أحمد محمد شعراوي، مرجع سابق، ص140.

وأخيرًا تطورت طريقة الحصول على المعرفة وهي إلقاء نظرة على الطبيعة أي ملاحظتها وجمع الحقائق ومن ثمة التحقق الموضوعي منها واستخدام العمليات الرياضية ثم تطبيق النتائج على الطبيعة[1].

لذلك كان أهم ما يميز هذا العصر هو ظهور الحركة الطبيعية التي تقول بأن الطبيعة البشرية صفات للخير متضمنة فيها، وكانت هذه الحركة تحديا صارخا لمذهب الخطيئة المتأصلة والتأكد على الشر الفطري في الطبيعة البشرية وقد قال البعض أن الخبر ممكن بين الشعوب البدائية بدون بركات الدين والمدينة وكانت هذه الحركة التفاؤلية عن الطبيعة البشرية ركيزة لأراء مفكرين في العصور التالية منهم "جان جاك روسو".

[1]– المرجع السابق، نفس الصفحة.

المبحث الثاني: روسو والحركة الطبيعية في التربية

تطرقنا سابقا إلى أبرز ما ميز العصر الحديث ورأينا أن ظهور الحركة الطبيعية في التربية على يد رائد التربية الغربية الحديثة، وعبقري عصر التنوير والقرن الثامن عشر الفرنسي جان جاك روسو هو أبرز ما ميز هذا العصر بكل المقاييس وسنحاول فيما يلي أن نتسلل إلى خبايا الحركة الطبيعية في التربية وأهم ما جاءت به هذه الأخيرة ثم سنتطرق إلى أهم المؤثرات التي بلورت الفكر التربوي الروسوي من خلال الحركة الطبيعية والتي تجلت فيها أهم آراء روسو التربوية.

المطلب الأول: مفهوم الفلسفة الطبيعية

إن الفلسفة الطبيعية اتجاه فلسفي عريض، عرفه تاريخ الفلسفتين اليونانية والحديثة؛ وهي في الحقيقة نظام فلسفي يعتمد على الطبيعة، أو على عنصر واحد من عناصرها، أو على عناصر متكثرة في تفسير التغيير الحاصل في الظواهر الطبيعية، وتفسير التنوع الناتج في العالم الطبيعي والاجتماعي والأخلاقي؛ وهي –أي الطبيعة– الحقيقة الوحيدة في هذا الكون، وأن الحياة الإنسانية جزء منها وتستبعد الفلسفة الطبيعية كل ما هو سام روحاني يتفوق على العقل والطبيعة والإنسان والخبرة والفلسفة[1].

هذا كان مفهوم الحركة الطبيعية فالقارئ لما سبق قد يتساءل كيف ظهرت هذه الحركة؟ أو ما هي العوامل التي أدت إلى ظهورها؟ من هنا يمكننا القول أن هذه الحركة كانت امتدادا لحركة ظهرت قبلها هي حركة التنوير وهي الحركة التي مهدت لظهور الحركة

1- محمد الفرحان، الخطاب الفلسفي التربوي، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى، بيروت، 1999، ص113.

الطبيعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وقد ظهرت حركة التنوير أول ما ظهرت في فرنسا ثم انتقلت بدرجة محدودة إلى ألمانيا[1].

ويعتبر جان جاك روسو كما قلنا سابقا الرائد الأول لهذا الاتجاه فهو أول من وضع أسسه ومبادئه في القرن الثامن عشر، فهذا المذهب الذي يقوم على الإعلاء من شان الطبيعة المادية والطبيعة البشرية والدعوة إلى الحياة الطبيعية، والحط من شأن المدنية القائمة في عصره، والدعة إلى تنظيم المجتمع وإعادة بناء الدين بما يتفق والطبيعة البشرية، والإيمان بالعواطف والمشاعر الإنسانية، والإيمان بالطبيعة الخيرة للإنسان؛ وبوجوب تربية الطفل بما يتفق وطبيعته وميوله وحاجاته الحاضرة ويتمشى بقوانين الطبيعة بصفة عامة.

إذن هذا ما ميز الحركة الطبيعية عن غيرها فنلاحظ هنا أن هذه الحركة قلبت الموازين التي كانت سائدة؛ فهذه الحركة أعلت من شأن الإنسان وراعت عواطفه وهذا ما أهملته الحركات والاتجاهات السابقة وهذا بطبيعة الحال ما ميزها عن غيرها.

ويمكننا أن نوضح حقيقة وهي أن نشوء الفلسفة الطبيعية أيضا جاء كرد فعل على المذهب الإنساني الذي ساد في عصر النهضة[2].

هذا ما يمكننا قوله إزاء مفهوم الحركة الطبيعية التي أرسى فلاسفة العقد الإجتماعي مبادئها من بينهم روسو الذي فجر ثورة وصلت لأبعد الحدود فهذه العبقرية الروسوية لم تكن نتاجًا عشوائيًا بل كانت نتيجة لعوامل ومؤثرات بلورت هذا الاتجاه خاصة في مجال التربية

2- عمر التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، الطبعة الأولى، بيروت، 1971، ص152.

1- محمد الفرحان، مرجع سابق، ص116.

فحياة روسو لم تخلو من المغامرات والمواقف السعيدة منها والحزينة والتي أثرت بشكل واضح في فكره التربوية.

المطلب الثاني: المؤثرات التي بلورت الفكر التربوي عند روسو

أولا: المؤثرات البيئية: عاش جان جاك روسو محرومًا شريدًا، لعبت به أنواع الحياة وتجاذبته المحن وبالطبع كان لهذا تأثير كبير على فكره وحالته النفسية؛ بل وعلى طباعه أيضًا؛ فقد عاش روسو محروما من والدته التي توفيت قبل أن تكتحل عيناه برؤيتها؛ ففقد بذلك حنانا لا يعوض أبدًا، فروسو يعتبر مولده أول ما حاق به من نحس وتعاسة؛ يقول في هذا الصدد:" إذ ولدت بعد عشرة أشهر، ضعيفا سقيما وقد كبدت أمي حياتها، وكان مولدي أول محاق بي من نحس وتعاسة ولم يقص عليا أحد قط كيف احتمل أبي هذا المصاب ولكني أعرف أنه لم يتعز أبدا، وكان يخال أنه يرى زوجته في شخصي دون أن يقوى على أن ينسى أنني الذي حرمته إياها"[1].

من هذا كله يتبين لنا أن روسو فعلا حرم من الحنان؛ لكن بعد ذلك اهتمت به إحدى عماته، وقد وصفها روسو بأنها شابة لطيفة فاضلة أولته من الرعاية ما أنقض حياته، وقد اعترف روسو بفضلها ورعايتها له واهتمامها به وتأسف كل الأسف لعجزه على رد الجميل لها في أواخر أيامها، يقول روسو: "وقد أولتني إحدى عماتي –وكانت شابة لطيفة فاضلة– من الرعاية ما أنقض حياتي... إنني لأغفر لكي يا عمتي العزيزة أن أبقيت على حياتي وما

[1] جان جاك روسو، <u>**اعترافات جان جاك روسو**</u>، ترجمة حلمي مراد، دار ميوزك، الطبعة الأولى، القاهرة، 1998، ص10.

أعمق أسفي إذ أراني عاجزا أن أرد إليك – في أواخر أيامك – تلك الرعاية التي أوليتنيها في أوائل أيامي"[1].

فقد روسو حنان الأبوين وراح ينتقل من مكان لآخر؛ من عمته إلى خاله إلى أشخاص غرباء آخرين فقد ورد في مقدمة المترجم لكتاب أحلام يقظة هذا القول: "بعد أن عهد بالطفل إلى خاله برنار...هكذا حرم الطفل المسكين أباه وأمه؛ ولكن ذلك الخال ما لبث أن ضاق بروسو فعهد به وبابن له إلى معلم يدعى لامبرسيه وهو قسيس بروتستانتي"[2].

وقد قضى روسو في كنف هذا القس عامين يعدهما اسعد سنوات طفولته تعلم فيهما كيف يصلي لله إلى جانب مبادئ الدين التي تميزه فيما بعد عن فلاسفة القرن (18م) الملحدين ...وفيهما أيضا –أي العامين – استيقظ في نفسه المرهفة حب الطبيعة الحلوة المنعزلة؛ ذلك الحب الذي جعل منه أكبر مصور للطبيعة عرفته فرنسا حتى نهاية القرن الثامن عشر (18م)[3].

هكذا نما الحس الطبيعي وحب الطبيعة لدى روسو؛ وهنا تبلورت فلسفته الطبيعية؛ ولا شك أن حياة روسو المعذبة توجد في أصل العبقرية التي فجرها في عصره.

إن حياته التي غلب عليها طابع الإثارة والتمرد والجنون وسرعة الحركة والانتقال في دائرة الزمان والمكان؛ كان لها أثر كبير في تنمية عواطفه المتمردة وحسه الإنساني النبيل؛

2- المرجع نفسه، ص11.

2- جان جاك روسو، **أحلام يقظة** (جوال منفرد)، ترجمة وتعليق ثريا توفيق، مراجعة صالح جودت، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، القاهرة، 2009، ص13.

2- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

الذي تفجر تمردا وثورة ورفضا منهجيا لكل أشكال الطغيان؛ هذه الحياة المقهورة فجرت في أعماقه عشقا للحرية وولعا بالثورة والتمرد وقد شكلت في نهاية الأمر البوتقة التي تنامت فيها آراؤه التربوية العظيمة.

إضافة إلى هذا كله تعرض روسو إلى محاولات اعترف أنها أرهقته بشدة[1] حيث يقول:"تعرضت لمحاولات أرهقتني إلى درجة خليقة بالرثاء إلا أنني لم أتزعزع عن موقفي، وكنت على استعداد لأن أصمد حتى الموت وقد عقدت عزمي بالفعل على ذلك"[2].

وهنا يتحدث عن محاكمته من قبل الآنسة لمبرسيه أخت معلمه.

يضيف روسو أيضًا: "تصوروا غلاما كهذا، يتعرف للمرة الأولى على مثل هذه الصورة الفضيعة للظلم؛ وعلى أيدي أولئك الذين كان يحبهم بالذات ويحترمهم أكثر من غيرهم... فيا لها من صدمة خيبت آراءه وأماله من حادث أخل باتزان مشاعره"[3].

من هنا نستطيع القول أن حياة روسو كانت مليئة بالتحديات والمغامرات؛ محفوفة بالمخاطر والظلم أحيانا، هادئة وثابتة أحيانا أخرى؛ وكل هذا جعله يهتم بالبعد الإنساني في وسط هذه الظروف البائسة، وهذه الذلة والمسكنة؛ تكونت نفس كلها حس مرهف من خلال الطبيعة؛ هكذا تكونت عبقرية روسو الأدبية والتربوية من خلال الظروف البيئية التي كانت محيطة به؛ ومن حياته المحفوفة بالأخطار، فهذه كانت أهم مواقف أثرت في فكره التربوي وجعلته بل وهيأته أن يألف كتاب أميل.

1- عمر التومي محمد الشيباني، مرجع سابق، ص156.

2- جان جاك روسو، اعترافات جان جاك روسو، ص19.

3- المصدر نفسه، ص20.

ثانيًا: المؤثرات الذهنية: رأينا فيما سبق أهم المؤثرات البيئية التي ساهمت بشكل واضح في بناء الفكر التربوي عند روسو، وحياته المليئة بالمغامرات وسنحاول فما يلي أن ننتقل إلى المؤثرات الذهنية وكيف تأثر روسو بالعديد من الكتب والمؤلفات لمفكرين سبقوه؛ في الزمن والمولد والنشأة.

وسنبدأ بتعلم روسو للقراءة كما ورد في اعترافاته، فلقد كان يذكر أول مرة قرأ فيها؛ فكان روسو يقرأ بعض من القصص التي خلفتها والدته والتي كان القصد منها في البداية أن يتعلم القراءة بالاستعانة بالكتب المشوقة، وقد ذكر بأنه بفضل هذا الأسلوب إستطاع أن يكسب حذقا بالغا للقراءة والفهم؛ بل أيضا أحرز دراية بالعواطف حتى أَلِف جميع مشاعر الحياة العادية.

هذا جعل ما جعل لإحساسه أن يتنبأ قبل فكره، فقد أعطته هذه القصص فكرة عن الحياة، بل وأعطته خبرة كان لا بد منها؛ فتجربته هذه كانت ممزوجة بحب المطالعة أكثر من أي شيء آخر يقول **روسو:** "ولقد تنبه إحساسي قبل أن يتنبه فكري... وهو شيء يحدث لجميع البشر، ولكني كنت أكثر من سويا خبرة به وتجربة له، ولست أدري ماذا كنت أفعل قبل أن أبلغ الخامسة أو السادسة ولا أعرف كيف تعلمت القراءة... كل ما أذكره أول مرة قرأت فيها وما كان لها من تأثير، فقد اتخذتها تاريخا لما درجت عليه من شعور مستمر بالذات ...وقد كانت أمي قد خلفت بعض قصص غرامية، شرعت في قراءتها مع أبي عقب العشاء، في كل ليلة، وكان القصد من ذلك – في البداية – مجرد تدريبي على القراءة،

بالاستعانة بالكتب المشوقة، وكان الشغف لم يلبث أن دب فينا، فكنا نتناوب القراءة دون توقف، وننفق ليالي بأكملها في هذا العمل، وكنا نعجز عن التحول من الكتاب حتى نفرغ منه، وكان أبي يقول أحيانا في استحياء، وهو يسمع العصافير تشرع في الشقشقة مع مطلع النها: هيا بنا إلى الفراش ....كأنني أنا الطفل ولست أنت، وبفضل هذا الأسلوب الخطر استطعت أن أكتسب حذقا بالغا للقراءة والفهم"[1].

هكذا تعلم روسو الكتابة والقراءة بشوق دب في مشاعره المرهفة عندما كان يتناوب مع أبيه على القراءة فهو يتذكر أمه في هذه الروايات والقصص فلا بد وأنها حركت مشاعره يقول روسو: " وبفضل هذا الأسلوب الخطر استطعت في أمد قصير أن أكتسب حذقا بالغا للقراءة والفهم؛ ليس هذا فحسب بل إنني حرزت أيضا دراية بالعواطف المشبوبة، كانت نادرة بالنسبة لطفل في سني فباتت جميع مشاعر الحياة مألوفة لدي، وإن لم أكن أدرك كنهها... كنت أحس بكل شيء دون أن أفقه كنه أحاسيسي... لكنها أوحت لي بأفكار خيالية غريبة عن الحياة الإنسانية، لم تقوا التجربة وقوة التفكير على أن تبرئني تماما منها طيلة حياتي"[2].

هكذا أثرت روايات والدة روسو في شخصه، وهكذا كانت توحي له بأفكار عن الحياة الإنسانية بكل ما فيها من مخاطر وأحاسيس ومشاعر لم تتركه طيلة حياته بعد تعلمه القراءة من مكتبة أمه، ينتقل الآن إلى مكتبة والد والدته أي جده؛ التي كانت تزخر بالكتب الدسمة حيث وصف جده بأنه رجل ذا ذوق وذكاء.

1- جان جاك روسو، اعترافات جان جاك روسو، مرجع سابق، ص11.

2- المرجع السابق، نفس الصفحة.

حيث كانت مكتبته تزخر بكتب التاريخ، وحياة مشاهير الرجال وقد خص روسو "بلوتراك" بأنه أحب المؤلفين إلى نفسه فقد ذكر أنه كان يقرأ الكتب على أبيه وهو يزاول عمله؛ وبالطبع كان يدور بينهما حوار، فيما يخص ما يقرأ له وقد ولّد هذا الحوار فيما بعد روح الحرية في نفس روسو يقول: "وفرغنا من الروايات في صيف 1719 فإذا الشتاء التالي يوافينا بمادة تختلف عنها، إذ أننا لم نكد نستنفذ مكتبة أمي حتى تحولنا إلى نصيبها –الذي آل إلينا– من مكتبة أبيها، وكانت بها بعض الكتب الدسمة، لحسن الحظ... فقد كانت جزءا من مكتبة جمعها قس، كان في الوقت ذاته عالما، كما كان رجلا ذا ذوق وذكاء وكان من هذه الكتب (تاريخ الإمبراطورية والكنيسة) "للسيور" و(رسالة في تاريخ العالم) "لبوسيه" و(حياة مشاهير الرجال) لـ "بلوتراك" و(تاريخ البندقية) لـ "نافي" و(التطورات) و(الأصول) لـ "أوفيد" و(العوالم) و(حوار الموتى) لـ "فونتيل" وبعض مؤلفات "موليير"[1].

فقراءة روسو وإطلاعه على كتب التاريخ وشخصياتها شغلت روسو بقراءتها وبأبطالها وبدأ روسو يفضل هذه الشخصيات من أمثال "إجيسلاوس" و"بروتس" و"ارشيدس" وغيرهم وقد ذكر أن هذا الإطلاع المشوق والمحادثات التي كانت تثار بينه وبين والده جعلت روح الحرية أن تتولد في نفسه؛ أيضًا ذكر روسو في اعترافاته أن مولده أو كونه مواطنًا مولودًا في جمهورية؛ قد أذكى حماسه وأنه أبن لأب كانت وطنيته هي أشد عواطفه اتقادًا،

1- المرجع نفسه، ص11.

فقد كان يخال نفسه إغريقيًا أو رومانيًا –حسب شخصية العظيم الذي قرأ سيرته– وكان كما ذكر روسو يذيب شخصيته في شخصيات من قرأ عليهم[1].

في وسط هذه الغمرة كان يقرأ في كثير من الاندفاع والهوى ويتغذي بالشعراء والمؤرخين والفلاسفة الأقدمين، ويدرس الرياضيات والفلك، وقد قيل أن هذه الحياة التي قضاها في القراءة والعمل والتي كانت تقطع مجراها بعض الحوادث الأسطورية، وبعض المغامرات والأخطار، كانت توقظ الخيال يقظة لا يقاس بها ما تفعله دروس منظمة في كلية (بلسيس)[2].

وقد أوحى له حبه للطبيعة منذ سن مبكرة هوى لا تنطفئ دنالته، فلم يخمد تفاؤله ولم يتراجع أمام ظروفه القاسية، ولم يهن إيمانه بالعناية الإلهية.

هكذا تكونت عبقرية روسو الأدبية والتربوية وليس لنا أن نبحث في حياة روسو عن عوامل مباشرة، هيأته لتأليف كتاب " أميل" صحيح أنه ضل فترة مربيا في أسرة "مابلي" عام 1739 إلا أنه ما لبث حتى هجر مثل هذه الوظائف التي أخفق فيها، نضيف إلى هذا أن روسو الذي كان يحب أن يلاحظ الأطفال ويتأملهم، لم يتأمل لسوء الحظ إلا أطفال غيره؛ ومن أباس اللحظات؛ ما كتب روسو؛ تلك الصفحة في كتاب الاعترافات يقص لنا فيها كيف

2- المرجع السابق، ص12.

1- عبد الله عبد الدايم، مرجع سابق، ص36.

كان يطل من النافذة في أغلب الأحيان ليشهد خروج الأطفال من المدرسة ليصغي إلى أحاديثهم، يسترق السمع ويختلس الملاحظات اختلاسًا [1].

ومن هنا يمكننا القول أن حياة روسو الذهنية كانت مليئة بالمتعة والتشويق والأصالة إن صح التعبير، فكتب التاريخ التي كان يقرأها كانت تكفي أن تصنع مواطنا مليئا بالحماسة منطلقًا نحو الحرية مدافعا لها ومن هنا ندرك أن آراءه التربوية التي احتواها كتاب أميل لم تكن فقط نتيجة استقراء طويل أو تجربة طويلة صبورة حقيقية فقط؛ بل كانت هذه الأفكار وليدة الوحي والإلهام ووليدة ارتجال عبقري لامع كان للطبيعة دور كبير في إرساء مبادئه فكل ما مر على روسو انعكس بالإيجاب على عبقريته و مؤلفاته وآراءه التربوية التي لم تفارق ولو للحظة حب الطبيعة، ومن هنا يمكن أن نطرح جملة من التساؤلات: إذا كان روسو مهووسا بالطبيعة فما رأيه في الحالة الطبيعية والحالة المدنية؟ وهل انعكست آراؤه فيهما على أفكاره التربوية التي تضمنها كتاب أميل؟

2- المرجع نفسه، ص377.

الفصل الثاني

الفكر التربوي

عند جان جاك روسو

الفصل الثاني: الفكر التربوي عند جان جاك روسو

المبحث الأول: دور الطبيعة في بناء الفكر التربوي عند روسو

المطلب الأول: الحالة الطبيعية عند روسو

إذا أردنا الغوص في الحالة الطبيعية عن روسو، فسنذهب إلى مقولته المشهورة الذي بدأ بها كتابه إميل وهي: "يخرج كل شيء من يد الخالق صالحًا، وكل شيء في أيدي البشر يلحقه الاضمحلال"[1] فالفلسفة الطبيعية جاءت كثورة فكرية وعملية لا تقل أهميتها وأثرها عن أهمية عصر النهضة، فلقد حولت دحض المفهوم القائل: إن التربية تنحصر في حفظ الكتب, وإتقان الأسلوب والشكل. وركزت على أن العواطف وهوى النفس هي المحرك الأول والأساس الصحيح الذي يجب أن تقوم عليه التربية والاجتماع, وقد كانت هذه الحركة ثورة على منطق العصور الوسطى ونزعته الدينية، وقلة فائدة التعليم للمتعلمين وجموده كما قلنا في الفصل السابق, فكان لبدا من أن يتلو هذا الجمود قيام حركة تعيد للتربية مرونتها وتبعث فيها حياة جديدة وهذا ما فعلته الحركة الطبيعية.

ومن هنا نجد أن الحركة الطبيعية ترى بأن الإنسان الأول، أي إنسان الطبيعة كان مساويا لأي إنسان آخر، فلا يوجد هناك أدنى تمييز بين الإنسان وأخيه الإنسان كما لم يكن هناك حاكم ومحكوم، متعلم وجاهل، غني وفقير، بل كان كل إنسان مساوي تماما لكل إنسان أخر، فلا يوجد هناك أدنى تمييز[2].

1- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص24.

2- عزة أحمد صيام،تاريخ الفكر الاجتماعي، جامعة بنها، الطبعة الأولى، بنها، 2012، ص124.

وأيضًا يرى روسو أن الإنسان الأول كما تبين سابقا كان يعيش حياة بسيطة تتسم بالبراءة والحرية والمساواة، فهذا الإنسان لم يكن في حاجة إلى الاستعانة بالكذب أو النفاق، فلا حاجة له بها ما دام لا يوجد تفاوت أو تمايز بين الناس, فالإنسان الأول حسب روسو طاهرا شريفا؛ ففي الطبيعة ما يكفي حاجاته ويزيد، فهو يقول في هذا الصدد في كتابه إميل:"راقبوا الطبيعة وانظروا كيف تبين لكم السبيل، فإنها تعمل على تمريس الأطفال بالأحداث والأشياء، وتعليمهم منذ البداية كيف يكونوا الألم"[1].

والحقيقة هنا أن روسو يعتزم أن يجعلنا نرى إنسان الطبيعة و قد تحول إلى إنسان الإنسان؛ إنه ينوي وصف حياة النوع البشري وفق الخصال المستمدة من الطبيعة، والتي تمكنت التربية المشوهة والعادات السيئة من إفسادها، إنه يعتزم أن يرينا الإنسان عما كان عليه.

وهو يقول:"أيها الإنسان من أي قطر كنت، ومهما كانت أمثلك الكذابون وإنما الطبيعة التي لا تكذب أبدا. إن كل ما يجيء منها سيكون صحيحا، ولن يكون فيه من عندي دون أن أريد ذلك"[2].

إن الطبيعة عند روسو خيرة وخيرها يتدفق بالمطلق، وعلينا أن نؤمن إيمانا قويا بأن الحركات الأولى للطبيعة دوما رشيقة وما من فساد أصيل في النفس الإنسانية، وفي القلب البشري فعلتها يد الإنسان؛ فالطبيعة هي المبتدأ والخبر في معادلة البناء الإنساني الخير،

1- جان جاك روسو، إميل أو تربية المن المهد إلى الرشد،مصدر سابق، ص28.

2- عزة أحمد صيام، تاريخ الفكر الاجتماعي، مرجع سابق، ص125.

وفي أحضانها يجب أن ينمو الأطفال ليكون في متعة؛ وامتناع عن كل ضروب الإثم والشر في التكوين الإنساني فإميل ابن الطبيعة.

وفي هذا يكمن الحصن الحصين في تمرد روسو ضد المجتمع منبع الشرور والآثام[1].

من هنا نلاحظ أن روسو يرى أن الاجتماع الإنساني، أو المجتمع منبع الشرور والآثام على عكس الطبيعة الخيرة. ويتبين لنا كذلك مما سبق أن روسو لا يتتبع نظام حال الإنسان الطبيعية من خلال تاريخها، بل ينظر إليها من خلال تأثيرها على الطفل أو الفرد بصفة عامة.

وفيما سبق يقول روسو في أصل التفاوت: " لا أتتبع نظام حال الإنسان الطبيعية من خلال نشؤها المتعاقب مهما كان، المهم أن ينظر إليها أصلها أي في الجنين الأول للنوع، وذلك للحكم جيدا في تلك الحال"[2].

هذه كانت أراء روسو في الحالة الطبيعية، فهو يرى بأن الحالة الطبيعية تتميز بالبساطة، فالإنسان فيها صالح مادام في أحضانها. فإذا أنتقل إلى المدينة مسته يد الشرور والآثام.

1- عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، مرجع سابق، ص378.

2- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، مصر، 2012، ص33.

المطلب الثاني: الحالة المدنية عند روسو

رأينا في الحالة الطبيعية أنها تتميز بالبساطة، والإنسان فيها مجرد إنسان عادي لا تحكمه قوانين؛ بل يسير وفق الطبيعة. فقد أدى الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية إلى تغيير في الإنسان جديرًا بالذكر، وذلك بإحلاله العدل محل الغريزة في سيره، وبمنح أفعاله آدابا كان يعوزها سابقًا[1].

كذلك تتميز الحالة المدنية عند روسو في ظهور الملكية الخاصة التي تبدأ باستزراع الأراضي واستئناس الحيوان، وظهور تقسيم العمل، وبداية تشكل التفاوت الاجتماعي بين مختلف أفراد المجتمع،وظهور التمايز الطبقي، وحرص الأغنياء في اكتناز الثروة، وتقل في المقابل فرص الفقراء في الحصول على نصيبهم العادل من ثروة المجتمع.

وفي ظل هذه الحالة (المجتمع المدني) يبدأ الأغنياء في السيطرة على الفقراء بوسائل مختلفة، وتظهر كنتيجة لذلك مشاعل الحقد والكراهية والحسد.

ولكي يحافظ الأغنياء على حقوقهم، تصدر القوانين المنظمة للملكية والتي تدعم أوضاعهم داخل المجتمع؛ فيزداد النفاق وتختفي الصداقة المخلصة وتضعف الثقة المتبادلة ويسود الخوف والكراهية والقتل، وظواهر لم يعرفها المجتمع في الحالة السابقة بقدر ما عرفها إبان نشأة المجتمع الإنساني[2].

1- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، نقله إلى العربية عادل زعيتر، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية، لبنان، 1995، ص50.

2 - عزة أحمد صيام، تاريخ الفكر الاجتماعي، مرجع سابق، ص130.

وفي هذا الصدد يقول روسو" أن أول إنسان أحاط قطعة أرض وقال: "هذا ملكي" ووجد أناسا بسطاء صدقوا ما قاله لهم، إن هذا الإنسان هو مؤسس المجتمع المدني، فلو أن أحدا أقدم آنذاك على هدم هذا السياج هاتفا بأبناء جنسه:احذروا من أن تصدقوا كلام هذا المشعوذ المكار، ولا تنسوا أن ثمار الأرض للجميع، وأن الأرض ليست لأحد؛ فكم كان وفر على البشرية من جرائم، وحروب، وقتل، وشقاء.

ولكن هذا لم يكون بالمستطاع لسبب تطور أوضاع البشر الذي أضفى إلى وجوب خلق الملكية الفردية، وهو تطور أنضجته أجيال من التقدم الصناعي، والعلمي، والاجتماعي[1].

يقول روسو:" وأتصور وجود نوعين للتفاوت في الجنس البشري، فالنوع الأول وهو ما أدعوه الطبيعي أو الفيزيوي لأنه من وضع الطبيعة.ويقوم على اختلاف الأعمار والصحة وقوى البدن والنفس أو الروح، والنوع الثاني هو ما يمكن أن أدعوه التفاوت الأدبي أو السياسي لتوقفهن على ضرب من العهد ولقيامه_ أو للأذن فيه على الأقل بتراضي الناس، ويتألف هذا النوع من مختلف الامتيازات التي يتمتع بها بعضهم إجحافا بالآخرين كأن يكون أكثر من هؤلاء ثراء أو إكرامًا، أو أن يكون في وضع تنتزع فيه الطاعة[2].

وأيضًا ميز روسو بين إنسان الطبيعة(كما خرج من يد صانعه)، وإنسان الإنسان كما شكله المجتمع بواسطة التربية والتعليم، عبر نشر العلوم وتلقين الفنون سعيد بطبعه، شقي

1- أندريه صيام، روسو حياته منتخبات، ترجمة :نبيه صقر، منشورات عويدات، الطبعة الرابعة، بيروت، 1889، ص141.

2- عزة أحمد صيام، تاريخ الفكر الاجتماعي، مرجع سابق، ص30.

بثقافته؛ فالإسراف في مجال المعرفة والذوق لا يزيد الإنسان إلا انسياقا للشهوات، وتباعدا عن أخيه الإنسان[1].

من خلال عرضنا للحالة الطبيعية والحالة المدنية عند روسو يبدو أنه ينبذ الحالة المدنية، فروسو خبير واقع اجتماعي أراد إصلاحه؛ فإن كان الإنسان البدائي أكثر سعادة من الإنسان الحضاري، فذلك لأن حياته تقتصر على أشياء بسيطة أولية. فهذا لا يعني أن روسو كان ينادي بالعودة إلى الحياة البدائية فهو يعرف أنه أمر مستحيل، لكنه أراد أن يدفع الإنسان إلى اختيار حياة فاضلة تربط بأخلاقية الفرد لا المجتمع، ويثور روسو الذي عانى البؤس، على التفسير الغير العادل للثروات الذي يؤدي بالضرورة إلى انعدام المساواة بين الناس.

ومن هنا يتبين لنا أن المجتمع المدني على عكس المجتمع الطبيعي، مجتمع فاسد كما وصفه روسو؛ إن لم نقل شرير فالحياة المدنية لم تكن سهلة، بسيطة؛ فالمدنية أفسدت الإنسان والمجتمع بصفة عامة، قد زرعت فيه روح اللامساواة، وقامت على اختلاف الأعمار، والصحة، وقوى البدن، وصفات النفس أو الروح.

1- جان جاك روسو، دين الفطرة أو عقيدة القس من جبل السافورة، نقله إلى العربية: عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، المغرب، 2012، ص09.

المطلب الثالث: مقارنة بين الحالة الطبيعية والحالة المدنية عند روسو

أما بالنسبة للمقارنة فإن أول ما نلاحظه أن المجتمع الطبيعي يتميز بالبساطة على عكس المجتمع المدني. فالمجتمع الطبيعي لم تحكمه قوانين؛ أما المجتمع المدني* تحكمه قوانين وتسيره سلطات؛ فقد كان الإنسان في مرحلة الطبيعة يتميز بالحرية التي تسمح له بتحقيق كل أهدافه بدون قيد، أو شرط يكبل إرادته؛ في حين أن المجتمع المدني يعصف الاجتماع البشري بالحياة الخيرة للإنسان، ويدخلها في دواليب التدهور والانحطاط، وفي هذه يبدأ التفاوت والاستغلال على اعتبار أن المجتمع المدني يتأسس على المصلحة الخاصة وليس على المصلحة العامة، وهذا ما يؤدي إلى تضارب المصالح، يسبب في النهاية العديد من الصراعات والتناقضات.

يبدو أن الملكية في المجتمع المدني عامل سلبي في تاريخ الإنسانية؛ إذ أن ملكية الأرض تولد اللامساواة، ويؤدي إلى صراع المصالح والاستغلال والعبودية.

ويمكننا الآن أن نميز الحالة الطبيعية والحالة المدنية حسب روسو في هذا الجدول كما يلي:

الحالة الطبيعية	الحالة المدنية
– الغريزة تتحكم في الإنسان. – قلة الأدب والأخلاق. – سمو النفس ونبل العواطف وعدم التمييز بين البشر. – المجتمع تحكمه الطبيعة. – تميزها بالبساطة. – الحركة الطبيعية (الحق الطبيعي).	– العدل أو القوانين هي التي تحكم المجتمع. – امتلاك الأدب والأخلاق من خلال التعليم والتلقين – شراسة الطبع وخشونة العواطف والتمييز بين البشر – المجتمع تحكمه القوانين. – الحركة المدنية (العقد الاجتماعي).

هكذا ميز روسو بين الحالة الطبيعية والحالة المدنية، ورأى أن الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية يتمخض عن تغيير ملحوظ جدا في الإنسان، لأنه حل القانون محل الغريزة في سلوكه، وهذا ما يضفي على أفعاله، الفضيلة التي كانت تعوزوها من قبل، ومع أنه في هذه الحالة (المدنية) يحرم نفسه من بعض المنافع التي تلقاها الطبيعة؛ إلا أنه يكسب نظير ذالك منافع أخرى عظيمة جدا، فأفكاره تتوسع وروحه تسموا، ولولا أن مساوئ حالته الجديدة كثيرا ما تهبط بيه مستوى أدنى من ذلك الذي تركه، لا كان عليه أن يبارك على الدوام تلك اللحظة السعيدة التي نقلته من حالته الأولى إلى غير رجعه، التي جعلته كائنا ذكيا وإنسانا بدل من أن يظل حيوانا غبيا عديم الخيال[1].

1- ول ديورانت، قصة الحضارة (روسو والثورة) ترجمة فؤاد أندراوس، مراجعة علي إبراهيم، الطبعة الأولى، بيروت، ص284.

المبحث الثاني: أهم الأفكار التربوية عند روسو

المطلب الأول: التربية بمفهوم روسو

بطبيعة الحال إذا أردنا أن نتكلم عن التربية عند روسو، فسنذهب بحواسنا إلى كتاب إميل ذلك الكتاب الذي أعتبر بكل فخر إنجيل القرن الثامن عشر؛ هذا الكتاب الذي وصفه مترجمه الدكتور نظمي لوقا بأنه كتاب لا يكتبه إلا عبقري، فهو ناطق بصورة صاحبه الذاتية في صدق كثير، وحماسة متدفقة، وإخلاص مستمر في الكتاب، تحليق جبار في سماء الفكر، ونظرات ثاقبة في أغوار النفس والفطرة الإنسانية لا يأتيها مثقف من حيث هو نتاج علوم العصر، وإنما يأتيها موهوب الحس والذهن، لن نطيل الكلام على كتاب إميل؛ بل سنذهب إلى التربية عنده، نبدأها أولا بمصادر التربية عنده:

يرى بأن مصادر التربية هي الطبيعة، والإنسان، والأشياء، وأنه إذ لم تتلاءم التربية الصادرة عن هذه المصادر الثلاثة ساءت تربية الفرد[1].

يقول في هذا الصدد:" التربية تأتينا إما من الطبيعة، أو من الإنسان، أو من الأشياء، فنمو وظائفنا وجوارحنا الداخلي ذلكم هو تربية الطبيعة، وما نتعلمه من الإفادة من ذالك النمو ذالكم هو تربية الناس. وما نكتسبه من خبرتنا عن الأشياء التي نتأثر بها، فذالكم هو تربية الأشياء"[2].

1 – وائل عبد الرحمان التل وأحمد محمد الشعراوي، أصول التربية التاريخية، مرجع سابق، ص161.

2– جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد،مصدر سابق، ص161.

ويرى أن الإنسان يسيطر على اثنين فقط من هذه القوى، بينما يعجز عن السيطرة عن قوة الطبيعة –أي النمو الباطني لملكاته– أن الانسجام في التربية لا يأتي إلا إذا أخضعت تربية الإنسان والأشياء للطبيعة.

يقول روسو: "كل امرء منا إذا يتولى أمر تشكيله ثلاثة من الأساتيذ والتلميذ الذي تتضارب فيه دروسهم المتباينة تسوء تربيتهم... ومن ضروب التربية الثلاثة نلقي تربية الطبيعة خارجة عن إرادتنا، وأما تربية الأشياء فلا تدخل تحت سلطاننا إلا بمقدار.وأما تربية الناس فتلك دون سواها مطوعة لنا بحق. بيدا أننا ليس مسيطرين عليها إلا افتراضا"[1].

هذه كانت مصادر التربية عند روسو وكما رأينا أنها ثلاثة الطبيعة، الإنسان، والأشياء؛ سنحاول أن نلقي نظرة على رأي روسو في التربية التقليدية وخصوصا على الطفل. فلقد ثار روسو على هذه التربية وبالضبط على نظرتها إلى الطفل، بأنه راشد مصغر، لا قيمة له ولا حقوق، حتى يستطيع محاكاة الراشدين، ورفض أن يفرض عليه ثياب وعادات وسلوك الراشدين أو يفرض عليه أسلوب الراشدين من حيث مطالبته بدراسات الموضوعات نفسها التي يدرسها الراشدين وأن يحفظ ما يليق عليه وأن يعيش حياة شكلية مصطنعة.

وقد رأى أن الطبيعة تتطلب أن يكون الأطفال أطفالا قبل أن يكونوا رجالا ولا يجوز أن نفرض عليهم حياة الراشدين وأفكارهم ومقاييسهم في السلوك، لأن الطفل ليس مصغر الرجل، لكنه كائنا في طريق النمو.ورأى ضرورة العناية بنشاط الطفل وإتاحة الفرصة أمامه ليتحرك بحرية، ليلعب ويتمتع بحياة الطفولة والتقليل من الأوامر والنواهي التي يصدرها الكبار له،

1– جان جاك روسو، المصدر نفسه، ص26.

لأن التضييق على الطفل قد يؤدي إلى ضرر بالغ؛ وأن التربية الأولى الذي تقدم للطفل يجب أن تكون قوامها المحافظة على القلب من الرذيلة، وعلى العقل من الزلل، وليس على تلقين مبادئ الفضيلة والحق"[1].

هذه كانت أهم آراءه في التربية التقليدية، وسنحاول فيما يلي أن نسلط الضوء على هدف التربية عنده:

تحقق التربية عند روسو هدفها عندما تسمح للطفل أن يعيش حياته وفق ميله الطبيعي. حيث يرى أن التربية وفقا لقوانين الطبيعة معناها أن الأحكام الغريزية والانفعالات الفطرية، والغرائز الطبيعية، والآثار الأولى هي أصدق أساس للعمل من التفكير والحذر والخبرة الناشئة عن الارتباط بالآخرين، ويرى أن التربية السيئة التي تصدر عن الإنسان يجب أن يقابلها ضرب أخر من التربية مصدره الطبيعة الآمنة التي لا يعتريها خوف بحيواناتها،و نباتاتها،و قواها الطبيعية المختلفة[2].

المطلب الثاني: الأفكار التي يتضمنها كتاب إميل

كتاب إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد؛ هو كتاب يعكس عبقرية روسو وفطنته،فقد أوضح فيه آراءه التربوية عن المجتمع والتربية، وقد كان هذا الكتاب يعكس بصورة واضحة تربيته المضطربة التي كانت تخلو من كل نظام، لقد ألف روسو كتاب أميل عقب إقامته في مومورنس، وإبان إنجازه العقد الاجتماعي، وهو يقول أنه كلفه عشرين سنة

1- المصدر نفسه، ص161.

2 - المصدر نفسه، ص162.

من التفكير وثلاث سنوات من العمل؛ وقد ظهر هذا الكتاب ولم يقابل في البداية بذلك التهليل الذي صاحب كتابات روسو دائما، صحيح انه قوبل بإعجاب هائل في الجلسات الخاصة، لكنه لم يثر إعجابًا عامًّا، رغم ما أكده له أصحاب الرأي وقادة الفكر من أنه أحسن ما كتب على الإطلاق[1].

لقد كان روسو يعلق أهمية كبيرة على كتابه" أميل" لأنه يتضمن حجر الزاوية في نظريته، فبعد أن كشف في مقالاته عن رذائل المجتمع الحديث، كان عليه أن يحدد في مؤلفاته الكبرى نواحي الإصلاح التي يحب إدخالها عليه وقد أوضح في "هلويز الجديدة" نموذج الأسرة، وفي العقد الاجتماعي"أسس المدينة"، وبقي عليه أن يقدم نموذج الإنسان الطبيعي، وقد كان يعرف جيدا أن أحدا لا يستطيع أن يشرع في إصلاح الدنيا دون أن يسعى أولا إلى إصلاح التربية[2].

ونلاحظ أن روسو هنا أعطى لكتابه أميل كل الوقت والجهد وأثرى من قيمته وأولاه من الرعاية والاهتمام وحاول الإصلاح في المجتمع الأوروبي بقدر المستطاع على الرغم من التحديات التي واجهها.

والواقع أن أي محاولة إصلاح تبدأ من الناشئ أي الأطفال باعتبارهم نواة المجتمع الأولى؛ لأن غرس المبادئ والأخلاق في نفوس الناشئ هي الركيزة التي تكَّوِن المجتمع الصالح وقد حرص روسو أن يوضح لنا كيف أن الأفكار الواردة في "أميل" مكملة لمبادئه

1- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو (حياته، مؤلفاته، غرامياته)، دار الشروق، الطبعة الأولى، بيروت، 1989، ص321.

2 – المرجع نفسه، ص323.

ومتمشية مع فكره يقول روسو حول "أميل": " لقد تتبعت بكل جهدي خيط تأملاته، فوجدت فيها جميعا نمو مبدئه العظيم، وهو أن الطبيعة جعلت الإنسان سعيدًا وطيبًا، ولكن المجتمع يفسده ويجعله تعيسا، وأميل بصفة خاصة، هذا الكتب الذي قرأه الناس كثيرا ولم يفهموه إلا قليلا، وأساو تقديره إلى هذا الحد، ليس إلا رسالة في الطيبة الأصلية في للإنسان مكرسة لإيضاح كيف أن الرذيلة والخطأ، الغريبين على كيانه يأتيان إليه من الخارج ويفسد على أنه على نحو غير محسوس"[1].

لقد نشر روسو كتابه "إميل" في خمسة أجزاء تناول في كل جزء منه مرحلة من مراحل عمر الإنسان. فيؤكد في الجزء الأول على ضرورة تربية الطفل من قبل والديه معاً، فالإنسان صالح بالفطرة، والتربية تقيه من المجتمع الذي قد يفسد هذه الطبيعة، ويرى أن من أخطاء التربية الحديثة استخدام الطرق والوسائل التي من شأنها إزعاج الطفل وتخويفه. وفي الجزء الثاني، عندما يصبح الطفل قابلاً للتعلم والمناقشة (من4 سنوات إلى12 سنة).

يرى روسو أن تعليم الصدق والابتعاد عن حشو الذهن بالخرافات يشكلان أساس هذه المرحلة، كما يشدد على التربية البدنية التي جعلت القدماء أقوياء وأشداء، فيتصور بطله إميل في الثانية عشرة من عمره «قوياً مليئاً بالحيوية والنشاط خالي الفكر من الهموم والمشكلات». وفي الجزء الثالث يبدأ التعليم الإيجابي (من 12إلى 15سنة)، ففكرة التعلم من الظواهر الطبيعية هي من مبادئ روسو التربوية، فتعلّم الجغرافية مثلاً مقرون بمشاهدة الطبيعة.

1المرجع نفسه، ص 324.

كما أراد روسو أن يتعلم إميل، الذي قارب سن الرشد، مهنة مفيدة في الحياة تؤمن له رزقه فاختار لبطله مهنة النجارة، وقدم أمثولة تربوية رائدة هي مشاركة الأستاذ الطالبَ في العمل. ويركز الجزء الرابع الذي يتناول المرحلة الرابعة من عمر الإنسان (15إلى-20سنة) على التربية الخلقية والدينية، فيرى روسو أنه لا يجوز مطلقاً غرس التعليم الديني عند مراهقين لم تنضج مداركهم بعد. أما الجزء الخامس فيبرز دور المرأة الفاضلة في التربية والأسرة والمجتمع وسنحاول فيما يلي توضيح ما سبق بقليل من الشرح وللإيجاز.

الكتاب الأول: يبدأ بعبارة أن الطبيعة خلقت الإنسان صالحا، وما على التربية إلا أن تمنعه من الاحتكاك بالمجتمع لئلا يخرب هذه الحياة الصالحة ويحولها إلى فساد، فيحدثنا على الطفولة الأولى حتى سن الخامسة، وأهمية العناية بالجسم وضرورة اهتمام الأم بنفسها، وأهمية منح الطفل الحرية منذ ولادته دون تكبيله بأي نوع من القيود التي تحيل دون حريته، ويرى بأن هذه المرحلة -مرحلة الطفولة- هي أخطر مراحل التربية، وهي بكل ما فيها موكلة إلى النساء، فالإنسان يولد طفل ضعيف في حاجة إلى قوة، ومجرد من كل شيء في حاجة إلى عون، ويرى كذلك بأن التربية تأتينا إما من الطبيعة أو من الناس أو من الأشياء، فهو يرى بأن الناس في الحالة الطبيعية سواسية، وأن الأم مهمة في حياة الطفل فإذا لم تكن هناك أم فليس هناك طفل، ويحرص على عدم تربية الطفل على يد الغرباء[1].

ورأى أنه الأفضل أن تكون الأم الحقيقية هي الأم أو المربية، ويكون المؤدب والموجه هو الأب الحقيقي ليحصل الانسجام والتفاهم بين المرضعة والمؤدب؛ وهذا ما يجعل عملية

1- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص24-26.

الانتقال من يد المرضعة إلى يد المؤدب سهلة لا تكلف الطفل عناء الانتقال من مرحلة إلى أخرى دون تفاهم بين المرضعة والمربي[1].

كما تحدث روسو عن صفات المربي الفاضل، ورأى أنه لابد للمربي أن تكون له خبرة سابقة في التربية مرة واحدة على الأقل، إضافة إلى ذلك أنه رأى بأن تعليم العاديين- أي التلاميذ متوسطين الذكاء هو الذي يصلح مثلا بتحدي في التعليم، ثم يتحدث عن تأثير الطبيعة والإقليم في التربية ويقارن بين سكان الشمال والجنوب والغرق بينهم، إضافة إلى المستوى الاجتماعي ومراعاة هذا الجانب في التربية؛ فإعداد الطفل الفقير ليس كإعداد الطفل الغني، ومهما يكن فالتربية الطبيعية ينبغي أن تعد الرجل كي يكون لائقا للحياة في جميع الظروف البشرية[2].

وهنا يؤكد أيضا على التربية النفسية التي يدعوها المتدرجة، هذه كانت أهم الأفكار التي وردت في كتاب إميل في المرحلة الأولى أو الكتاب الأول ونلاحظ أنه ركز على دور الطبيعة في التربية بكل أشكالها.

أما عن الكتاب الثاني: فهو معنون بتربية الطفل الأخلاقية، ويشرح لنا فيه روسو حياة إميل من السنة الخامسة إلى الثانية عشر من عمره؛ حيث يرى روسو أن الطفل في هذه المرحلة يصبح جاهزا للتعليم و التعلم، ويؤكد روسو هنا على أنه يجب أن لا نعلم الطفل تعليما نظاميا، بل يترك يتعلم بالتجربة والنشاط الحي في الطبيعة، وعلى أنه ينبغي ألا

---

1 – المصدر نفسه، من الصفحة 28 إلى 38.

2- المصدر نفسه من الصفحة 44 إلى 48.

يتعاطى الطفل سواء الأشياء التي تناسب عمره وتفكيره واهتمامه بشكل مباشر، وهنا يمكننا القول أن التربية في هذه المرحلة تركز على تربية الجسد والحواس، فالعقل يجب أن يتعلم الطاعة على أنها واجب طبيعي، ويجب أن نبعد الطفل من الشر ويشير هنا إلى انتهاء مرحلة الطفولة[1].

أما الكتاب الثالث: تحت عنوان الغلام من الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة، وعن التربية الذهنية وبداية التعليم الإيجابي عنده، حيث يرى أنه ينبغي أن نعود الإنسان على ملاحظة ما يدور حوله، وأن نعلمه من كتاب واحد هو كتاب العالم المحيط بيه فيتعلم الجغرافيا بمشاهدته المباشرة للطبيعة[2].

إضافة إلى تشجيعه وتعليمه الاعتماد على نفسه في التعليم،وهنا تبدأ مرحلة التفكير والتعقل ومنعه بمقارنة نفسه بسواه من الأطفال؛ لأنه لن يجني من ذلك إلا إحدى السيئتين هما الحسد والغرور، فليكن هو معيار نفسه، إضافة إلى كل هذا لا بد أن يدرس العلاقات الاجتماعية ويقدر الفنون المختلفة على أساس منفعتها الحقيقية.

أما الكتاب الرابع: فهو تحت عنوان المراهقة والتعليم الديني، يتضمن التربية الخلقية والدينية، حيث يؤكد روسو أن أول شعور يحس به الطفل هو أن يحب نفسه، أما الشعور الثاني فهو محبة الآخرين، ويرى أن المبدأ الأساسي في الأخلاق أن قواعد السلوك لا تأتي نتيجة لدروس فلسفية عالية، بل هي مكتوبة في أعماق كل إنسان بشكل طبيعي وبأحرف لا

---

1 جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، من الصفحة 76إلى 80.

2 وائل عبد الرحمن التل وأحمد شعراوي، مرجع سابق، ص161.

تمحى ويرى أن الصوت الداخلي(الضمير) هو المبدأ الأساسي للعدالة والفضيلة، والفضل يعود إليه بتأمين سعادتنا أو شقائنا، بسماع صوته وعدم سماعه أو عدم سماعه تقرر حالتنا على الأرض ومن ثمة الحياة الأبدية، فقد وهبنا الله الضمير كي نحب الخير، والعقل كي نتعرف إليه، والحرية كي نختار طريقة؛ وفي الثامنة من عمره يتعلم مبادئ الدين الأولى فلا نفرض عليه أي مذهب أو ديانة ونترك له الخيار [1].

أما الكتاب الخامس فهو يتحدث عن (صوفي) رفيقة (إميل)؛ إلا أنا إميل لا يتزوج من صوفي إلا بعد أن يقوم برحلة لمدة سنتين ينتقل خلالها في الدول الأوربية يتعرف على أنظمتها الاجتماعية على شعوبها وعلى عاداتهم وتقاليدهم، وبذلك يصبح عنده فضيلة أكثر وقوة عامرة في نفسه أكثر.

يتضح من كتاب إميل أن العلمية التربوية في نظر روسو ينبغي أن ترتكز على تدريب الحواس، ويؤكد على التربية التي تعتمد الخبرة والممارسة العملية والاحتكاك بالأشياء بدل التربية القائمة على التلقين والألفاظ، وبالتالي فإنه يتجنب تعلم الكتب والحقائق المجردة التي لم تقع في إطار المشاهدة والاختبار، وأن كتاب الحياة وكتاب الطبيعة هو ما يجب أن ينشأ على دراسته الطفل وتماشيا مع هذا التصور يرى روسو أن يدرس الطفل الجغرافيا في الغابات والحقول، وعن طريق وضع ملاحظة وضع الشمس والأرض ودراسة الجداول والمطر وتغير الطقس، أما دراسة الفلك فتكون عن طريق دراسة الأجرام السماوية، أما دراسة

1 – وائل عبد الرحمان التل وأحمد محمد شعراوي، مرجع سابق، ص162 .

الفيزياء والكيمياء فتكون عن طريق الملاحظة والتجريب والرياضيات لازمة لضرورتها في هذه الدراسة.

أما القاعدة العامة التي يوصي بها فهي عدم استعمال الإشارة أو الرمز حين يكمن استعمال الشيء نفسه، وذلك لأن الرمز يستولي على انتباه الطفل فينسيه الشيء الأصلي[1].

هذه كانت أهم أفكار روسو التربوية التي تضمنها كتاب أميل أو أنجيل القرن الثامن عشر كما قيل عنه، والذي أعلى من قيمة الطفل وأعطاه كل الرعاية والاهتمام وهذا كله في الطبيعة ومن الطبيعة، فهذه الأخيرة كانت الملهمة لروسو في كل أفكاره، فالفلسفة الطبيعية كانت نجمة القرن الثامن عشر الساطعة في سماء التربية؛ فهل توقفت هذه الفلسفة عند هذا الحد؟ أم استمرت لتأثر في ما بعدها؟ هل ظهرت اتجاهات في التربية بعد الاتجاه الطبيعي؟

1 المرجع السابق، ص 163.

الفصل الثالث

أبرز امتدادات روسو التربوية

الفصل الثالث: أبرز امتدادات روسو التربوية

تمهيد:

بطبيعة الحال لا يمكن لكل النظريات في التربية وغيرها أن تتوقف عن حد معين، فالدراسات تبقى مستمرة وفي تطور ما دام المجتمع في تطور مستمر ودائم، كذلك النظريات التربوية تمتد من عصر إلى أخر ومن فيلسوف إلى أخر؛ وكل في تغيير دائم وهكذا كانت امتدادات فكر روسو ولم تتوقف عند الاتجاه الطبيعي، بل استمرت وتطورت وتبناها فلاسفة آخرين بعد روسو، وهذا ما سنحاول أن نسلط الضوء عنه في هذا الفصل من خلال الغوص في الفلسفة أو الفكر التربوي عند كل من جون ديويDEWEY JOHN [1] وجان بياجيه jean piaget[2].

1 - جون ديوي DEWEY JOHN: فيلسوف ومربي أمريكي شمالي، ولد في 1859 في بولفنتون (ولاية فرمونت)، من أبوين برجوازيين، توفي في نيويورك 1952، وكانت الداروينية نقطة انطلاق لحياة و حركة فلسفية، كان لها تأثير عالمي لا يزال ملموسا حتى أيامنا، شغل منصب أستاذ في جامعة شيكاكو عرض مبادئه التربوية في قانون الإيمان التربوي والمدرسة والمجتمع وأول مؤلفاته كانت في علم النفس 1887يبرهن فيها عن طبيعة العقل ووظيفة الأداتية بعنوان دراسة الأخلاق،وفي عام 1903 كتب دراسات حول النظرية المنطقية ونظرية البحث 1928،وإعادة البناء في الفلسفة. راجع جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص312.

2 جان بياجيهjean piaget (1896_1980): سويسري الأصل كانت أمه تعاني من أزمات نفسية و هذا ما دفعه إلى دراسة علم النفس، فهو من نوابغ علم النفس التربوي و مؤلفاته تتجاوز المئة مؤلف بين مقال وكتاب، حصل على الدكتوراه في عالم الحيوان في جامعة نيوشاتل في مسقط رأسه، سافر إلى باريس ليدرس بالسربون علم النفس الشواذ، وعلم النفس التجريبي، ومن خلال هده الدراسات تكونت لديه الاهتمامات التي ظلت معه طوال عمره بالبحث في مظاهر النمو الحركي والحسي والوجداني والعقلي والمعرفي عند الأطفال، وستدعى ليقوم ببحوث مماثلة على التفكير في معهد روسو بجنيف الذي صار فيما بعد معهدا للعلوم التربوية، من أشهر دراساته "مفهوم الطفل عن العدد" و"مفهوم الطفل عن الحركة والسرعة" و"مفهوم الطفل عن المكان" وله أيضًا "سيكولوجية الذكاء" راجع نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم (أعلام علم النفس وأعلام التربية والطب النفسي والتحليل النفسي)، دار الصداقة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2002، ص97.

المبحث الأول: تأثير روسو في بعض المفكرين التربويين

المطلب الأول: جون ديوي والاتجاه البراغماتي

جون ديوي يعتبر فيلسوفا تربويا طرح رؤية اجتماعية للتربية قوية التأثير في الفكر التربوي الأمريكي والأوروبي بصفة عامة وبالتحديد في مجالات غايات التربية، والحياة، والتقدم العلمي.

لقد كان لكتابات جون ديوي المعروفة مثل" فلسفة التربية" و"التربية والديمقراطية" و"العقيدة التربوية"، تأثير في انتشار صبغ التربية والتعليم التقدمية بسماتها التجريبية والديمقراطية، والفردية في كثير من المجتمعات الإنسانية.

سنحاول في هذا المبحث أن نسلط الضوء على فلسفة جون ديوي التربوية وإسهامه، وبعض أرائه في مجال فلسفة التربية.

إذا أردنا أن نعرض طبيعة التربية عند ديوي، فهذا الأخير يرى أن التربية تتسم بالطابع الاجتماعي فهي نتاج التفاعل بين الغرائز والميولات الفردية والظروف الاجتماعية الراهنة. فمفهوم التربية عنده يتمحور حول الخبرة التي تنتقل بالتربية من جيل إلى جيل بصورة مستمرة ونامية، ديمقراطية وعلمية، وفي هذا يقول كذلك: "إن التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة" ويقول كذلك: "ليست التربية في مذهبها عملية انكشاف تأتي من داخلية الفرد، ولا هي تدريب للقوى المستقرة في العقل نفسه، وإنما هي تكوين للعقل بإيجاد محتويات متداعية مترابطة فيه"[1].

1 جون ديوي، الديمقراطية والتربية (مقدمة في فلسفة التربية). نقله إلى العربية: منى عفراوي وزكريا ميخائييل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثانية، القاهرة، 1954، ص82.

نلاحظ هنا أن التربية عند ديوي عملية اجتماعية؛ بل هي التغير الحاصل في الفرد نتيجة الخبرة، فهي إذا ترتكز على المهارات العلمية المختلفة وهذا ما يخلق نوع من التفاعل بين كل أطراف العملية التربوية والمجتمع.

أما عن أهم إسهامات جون ديوي في التربية، فلقد أثر هذا المربي على الخدمة الفعالة في حقلي التربية والفلسفة منذ 1882 إذ نشر أول مقالة بعنوان (الافتراضات الميتافيزيائية في المذهب المادي)، أما عن كتابه المترجم المدرسة والمجتمع الذي نشر سنة 1889 هو ابرز ما كتبه في التربية الابتدائية. وقد تركت نظرياته وآراءه أثرا واضحا في ميدان التربية والتعليم وحققت كثيرا مما قصد منها.

لقد أصبح جون ديوي رئيسا للمدرسة البراغماتية الأمريكية سنة 1910م، وابرز ما عرفت به فلسفته أفكاره الثنائية كما يتبين في كتبه وعلى سبيل المثال كتابه "الديمقراطية والتربية" وله فيه أقوال منها: التربية حياة والتربية كفاية اجتماعية، ولهذا قد رفع الحدود القديمة بين الفلسفة والحياة، وسار نحو الغرض بوعي وافي وضمن إطار من الآراء المتماسكة[1].

إضافة إلى هذا ألتزم بالأسلوب العلمي المتين، وإذ كان في كل قرار يقطعه أو تشخيص يؤديه مجالا لوجه بل لأوجه أخرى من النمو والتقدم والتغيير وتأكيد على طلب الأصلح، فالأصلح عنده وفقا لمذهبه البراغماتي أن الحقائق تصنع ثم يعاد صنعها وقد أشار إلى التزامه بالمنهج العلمي في كتابه "تجديد في الفلسفة" فقال: "المعنى الحقيقي هو المعنى العلمي" ويبدو من هذا أن ليس للتربية حد تقف عنده، لأن العلم لا يقف عند حد معين، وهو بهذا يؤيد ما تقوله الفلسفة المثالية في الغاية المطلقة، لولا أنها ترتسم هيئة مدرك

1 جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة: أحمد حسن الوحيد، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، 1987، ص25.

عقلي، في حين أنه يمنح من تجربة في واقع، وبعد ذلك اعتزل ديوي الكفاح التربوي في 1952، إذ وافاه أجله بعد حياة إنسانية مثمرة[1].

هذه كانت أهم إسهامات جون ديوي في التربية، بالطبع لا يمكننا أن نجول في فلسفة ديوي التربوية دون أن نمر على المدرسة، والتي خصص لها ديوي كتاب (المدرسة والمجتمع)، فديوي يميل إلى النظر إلى المدرسة من وجهة نظر فردية على حسب قوله بوصفها شيئا بين المعلم والطالب، أو بين المعلم والآباء، لأن أكثر ما نهتم به هو التقدم الذي يحرزه الطفل، فالمدرسة تقاس بمعايير معينة تخص الطفل أو التلميذ مثل معيار النظام، والتهيؤ والاستعداد للأشياء.

فجون ديوي يقول: "أننا ميالون إلى النظر إلى المدرسة من وجهة نظر فردية بوصفها شيئا بين المعلم والطالب، أو بين المعلم والوالدين، لأن أكثر ما يثير اهتمامنا هو بالطبع التقدم الذي يحرزه طفل من معارفنا في نموه الجسدي الاعتيادي وتقدمه في القدرة على القراءة، والكتابة والحساب ومعلوماته الجغرافية وغيرها... وتحسن طباعه وعادته في التهيؤ والاستعداد للأشياء، وفي النظام والمواظبة، فيمثل هذا المعيار نفس عمل المدرسة"[2].

ويتبين لنا من هنا أن التربية الحديثة عند ديوي تتعلق تعلقا شديدا بالمدرسة، وهذا ما حصل نتيجة التغيرات التي تحدث في المجتمع في ظل التطور التكنولوجي الذي يشهده العالم، فكلما تقدم الزمان تتطور وتتغير الوسائل والأساليب المتبعة في التربية.

1 – المصدر نفسه، ص26.

2 -المصدر نفسه، ص31.

فديوي يسأل المربيين في موضع آخر من فلسفته التربوية أن يوجهوا انتباههم نحو التغيرات التي تحدث في المجتمع، ويسأل هل يمكن أن نربط التربية الحديثة بمصير أو جريان العالم؟

فيقول في هذا الصدد: "وهذا هو المستوى الذي تقدر بموجبه التغيرات التي تحدث في المدرسة،... لأن التغيرات التي تحدث في طريقة التربية ومناهجها هي من نتاج الحالة الاجتماعية، وهي جهد يسدد حاجات المجتمع الجديد للأخذ بالتكوين،... فهذا هو إذن ما أسألكم أن توجهوا إليه انتباهكم بصورة خاصة، وهو بعبارة أخرى إدراك ما يمكن أن نطلق عليه (التربية الحديثة) في ضوء تغيرات أوسع تحدث في المجتمع"[1].

من هنا نستنتج أن كتابات ديوي تحمل في طياتها نقدا لاذعا للتربية التقليدية السائدة في عصره وعلى مر العصور، كما أنتقد التربية التي تعتمد على حفظ المعلومات على ظهر قلب وإعداد المتعلم للمستقبل مع تجاهل الحاضر وتهميش المرحلة التي يعيشها المتعلم، فقد كانت القاعدة هي أن المعلم أساس العملية التربوية، وجاء ديوي ليلقب الموازين وينتقل الفكر التربوي إلى شمس التربية؛ أي إلى المتعلم واحتياجاته فلقد جاء المذهب البراغماتي ليؤكد على دور كل من الأسرة والمجتمع والمدرسة في تنمية المتعلم ليعيش حرًا مفكرًا منتجًا، فالتربية عند ديوي هي الحياة في حاضرها أولا ثم تهتم بالمستقبل.

1 – جون ديوي، مصدر سابق، ص32.

من هذا كله يتبن لنا أن فلسفة ديوي والذي يعود الفضل له في تأسيس المذهب البرغماتي في التربية قد أبدع في مجال التربية وفلسفة التربية من خلال أعماله ونظرياته في ما يخص هذا المجال الشاسع ففكره هذا لم يأتي من فراغ فقد تأثر بالعديد من الفلاسفة الذين سبقوه كروسو مثلا فلقد استمدت الفلسفة البراغماتية مبادئها وأصولها من مصادر كثيرة كان من أهمها الحركة الطبيعية التي أسسها روسو في القرن الثامن عشر فقد اشتقت الفلسفة البراغماتية مبادئها من الفلسفة الطبيعية وفلسفات أخرى وحاولت أن توفق بينها[1]

لكن يمكننا القول أن الأهم في المضمار التربوي البراغماتي، أنه جاء يحمل روح الثورة التي قام بها "روسو"؛ سواء في صياغة المفهوم، أو في الأهداف التربوية، أو في النظر إلى الطفل والطالب والتأكيد على كونهما مركز العملية التربوية، مع التأكيد على التطور الذي حصل من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، لذلك نشعر أن روسو جديد يعيش في داخل المشروع التربوي البراغماتي[2].

1 عمر التومي الشيباني، مرجع سابق، ص330.

2 محمد الفرحان، مرجع سابق، ص170.

المطلب الثاني: جان بياجيه

أولاً: المبادئ التربوية المستمدة من نظرية بياجيه النفسية

يمكن أن نستخلص عك مبادئ تربوية من نظرية بياجيه، ويمكن الاستناد إليها في تربية الطفل (طفل ما قبل المدرسة) ولعل أهمها:

1. أن التعلم يجب أن يكون نشطًا حيث يقول بياجي: "إن الفائدة الرئيسية في نظرية النمو العقلي في مجال التعليم هي إتاحة الفرص أمام الطفل ليقوم بتنمية ذاته، فإننا لا نستطيع أن نمارس تربية الطفل بشكل جيد، دون أن نضعه في موقف تعليمي، حيث يختبر بنفسه، ويرى ما يحصل، ويستخدم الرموز، ويضع الأسئلة، ويفتش عن إجاباته الخاصة، رابطا ما يحده هنا بما يجيده في مكان آخر، مقارنا اكتشافاته باكتشافات الأطفال الآخرين"[1].

ونلاحظ هنا أن بياجيه شأنه شأن روسو يدعو إلى التربية التطبيقية من خلال الملاحظة المباشرة والاحتكاك المباشر بالأشياء في الطبيعة وأن نضع عقله داخل الموقف التعليمي، ويجرب بنفسه إلا أنه يختلف مع روسو في المقارنة بينه وبين غيره، فروسو يدعو إلى عدم مقارنة الطفل مع غيره.

2. أما ثاني نقطة يركز عليها بياجيه فهي التفاعل أي أهمية التفاعل بين الأطفال في المدرسة، حيث يعتقد أن النمو العقلي يفترض_ ليس فقط تعاون الأطفال مع الراشدين، ولكن

---

1 شبل بدران، الاتجاهات الحديثة في التربية طفل ما قبل المدرسة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، القاهرة، 2002، ص193.

تعاون الأطفال فيما بينهم، أيضا الطفل الذي لا نسمح بأن يرى نسبة إدراكه يبقى سجين وجهات نظره الأنوية بطبيعة الحال. فالصراع في الآراء بين الأطفال يجعلهم يدركون مباشرة وجهات نظر مختلفة، إذ أن أطفال المستوى الواحد يستطيعون أفضل من الراشدين مساعدة رفاقهم للخروج من الأنوية، من هنا أفضلية العمل في جماعات، والمناقشات بين التلاميذ[1].

فالمقارنة بين الأطفال هنا تجعلهم يكتشفون أخطائهم فيغيروا من عاداتهم و يصححوا أخطائهم من خلال التفاعل فيما بينهم و اختلاف وجهة نظرهم، وهو يركز هنا على أهمية تبادل الآراء ووجهات النظر.

3. أفضلية العمل العقلي المبني على التجربة المباشرة وليس على اللغة، وقد سجل المعلمون تقدما ملحوظا عند إعطائهم الأولوية للتجربة على الكلمات في مرحلة ما قبل العمليات[2].

وهنا بياجيه يركز على التجربة المباشرة وليس على الكلام، لأن التجربة تنمي الحواس وسنشرح فيما يلي ما يمكن قوله فيما يخص هذا.

4. إن هدف التعلم بالنسبة إلى(بياجيه) أن يحسب تغيرات الأطفال السيكولوجية، والسماح لهم بالتحرك في مجتمع يفضل بعض القيم الاجتماعية والعقلية والخلقية، فهدف المجتمع ليس فقط نقل القيم والمعرفة البالية، ولكن خلق قيم ومعرفة جديدة، فالمدرسة في نظر بياجيه يجب ألا تكون مدرسة للطاعة، وإنما مدرسة للحس الاستقلالي والتعاون، فالطفل

1 المرجع السابق، نفس الصفحة.

2 المرجع نفسه، ص194.

لا يستطيع أن يصبح إنسانًا خلوقًا دون أن يمارس الحكم والسلوك الأخلاقي مع الأطفال الآخرين في المدرسة[1].

ثانيا: مقتضيات عمل بياجيه فيما يخص المربين

لخصت عددا من المقتضيات التي تخص مربي أطفال ما قبل المدرسة، ومن أهمها:

- مراعاة الفرق بين تفكير الطفل وتفكير البالغين، وهذا ما أكد عليه روسو في كتاب "أميل" فعلى المربي أن يعرف النقطة التي يقف فيها كل طفل في المرحلة التي يمر بها من حيث مستوى التطور والأداء، وأن يقود الطفل بالسرعة التي يكون الطفل مستعدا للسير بها، وأن يتجنب المربي التفكير بأن جميع الأطفال الذين يقعوا في سن واحد هم متماثلون تمامًا.
- مساعدك الطفل على اختبار ما تجري مناقشته، وأن يسمح المربي للطفل بمعالجته أيضا، وبدلا من التعليم المباشر على المعلم أن يوفر محيطًا مناسبًا ممتعًا أمنًا، وأن يعطي حرية الحركة والاختيار ضمن هذا المحيط، حيث أن هذا ضروري جدا من أجل حدوث التعلم، فالأطفال في هذه المرحلة يحتاجون إلى التفاعل الحي النشط من محيطهم، لأن الدروس الشفوية وحدها لا تؤدي إلى فهمهم.
- الإجابة عن أسئلة الطفل، لأنها قد تكون مفتاح تعلم الأشياء الذي يكون الطفل مستعدا لتعلمها، وأن يتأكد المربي من أنه لا يستخدم إلا المفاهيم واللغة التي يفهما هذا الطفل؛ وإذا كانت شروحا، فالشرح للأطفال الصغار يجب أن تكون محسوسة متصلة بالنشاط، وفي سبيل الوصول إلى التعلم الأفضل.
- استخدام مثيرات معتدلة الجدة، فعلى المربي أن يدرك أن الطفل يتعلم أفضل من الخبرات معتدلة الجدة، أو من تلك الخبرات التي لا تختلف إلا قليلا عن خبراتهم السابقة، وأن يعرف ما الذي سيكون معتدل الجدة لكل منهم، وعليه أن يكون حساسًا

1 المرجع نفسه، نفس الصفحة.

لما يمكن أن يثريهم، فيما يكون معتدل الجدة لطفل ما قد يكون مملا أو مثيرا للقلق لدى طفل آخر [1].

- السماح للأطفال بالمناقشة وإتاحة الفرصة للأطفال للحديث بعضهم مع بعض، فالاتصالات الشفوية والعملية تساعدهم في تنظيم أفكارهم والتعبير عنها بطريقة اجتماعية أكثر منها ذاتية، فهي تعلمهم كيف يوصي بعضهم للبعض الآخر، وتفهمهم أن وجهة نظر الآخرين مختلفة عن وجهة نظرهم وآرائهم[2].

من هنا نلاحظ أن بياجي يراعي العديد من النقاط فيما يخص التربية والطفل نلاحظها فيما يلي:

- مراعاة الفرق بين تفكير الطفل وتفكير الراشد.
- إعطاء الحرية للطفل لاختيار ما مناقشته بدلا من التعليم المباشر.
- محاولة الإجابة عن أسئلة الطفل.
- مراعاة اللغة والمفاهيم التي يستخدمها الطفل.
- ينبغي على المربي أن يعرف الأطفال بصورة جيدة.
- إتاحة الفرصة للطفل أن يتجاوز مع غيره من الأطفال.

1شبل بدران، مرجع سابق، ص194.

2 المرجع نفسه، ص195.

المبحث الثاني: مؤثرات الفكر الروسوي فيما بعد الاتجاه الطبيعي تقييم ونقد

رأينا فيما سبق تأثير روسو في كل من جون ديوي وجان بياجيه والنقاط التي اشترك فيها كل منهم، وسنحاول في هذا المبحث أن نجول فيما بعد القرن الثامن عشر وما بعد الحركة الطبيعية وابرز ما قيل عن هذه الحركة من مؤيديها وحتى منتقديها.

المطلب الأول: أبرز المؤيدين

لقد كان روسو الملهم الأول للمصلحين التربويين في القرن التاسع عشر والذين وضعوا نظرياته موضع التطبيق، وكان له أثر فعال في تغيير بعض العادات والتقاليد السائدة في عصره فمذهبه الطبيعي ترك أثرا كبيرا استدل به العديد من المفكرين التربويين والمربين بعده، إن لم نقل جعلوا منه نقطة بداية لانطلاق أفكارهم ونظرياتهم، فانقسموا بذلك إلى قسمين قسم أيد المذهب الطبيعي وسار على نهجه وطور أفكاره وقسم رفض وأنتقد ما جاء به هذا الاتجاه لما فيه من مخلفات سلبية لا تليق بمتطلبات العصر وسنحاول في هذا المبحث أن نسلط الضوء على أبرز المفكرين الذين أيدوا روسو ومذهبه وحتى الذين انتقدوه.

فبعد أن تتبعنا في الفصول السابقة تطور النظريات التربوية من العصر اليوناني إلى العصر الحديث إبان القرن الثامن عشر، وأشرنا إلى أهم العوامل التي أثرت في هذا التطور وابرز المفكرين الذين ساهموا في ذلك، فلم تتوقف الدراسات التربوية عند روسو بل تطورت مع التقدم في الزمن كما رأينا في الفكر التربوي عند كل من جون ديوي وجان بياجيه فهذا المذهب كان تمهيدا لما جاء بعده خاصة في القرن التاسع عشر فالنزعة النفسية مثلا لم تكن إلا امتدادا للحركة الطبيعية في التربية حتى وإن كان هناك اختلاف كبير بين النزعات

النفسية والحركة الطبيعية إلا أن هذا الخلاف اقتضته التطورات التي حدثت في القرن التاسع عشر؛ خاصة التطورات العلمية التي شملت مجال الدراسات النفسية والتربوية[1].

كما قلنا فيما سبق فإن النزعة النفسية من أهم النزعات التي كانت امتداد للاتجاه الطبيعي والتي أيدت الكثير من مبادئه وسنحاول فيما يلي توضيح ذلك:

من أبرز مميزات النزعة النفسية هو إيمان أنصارها بأن عملية التربية ليست عملية اصطناعية يعرف الفرد عن طريقها أفكار السابقين وتراثهم، بل هي عملية نمو طبيعية تتبع[2] من الباطن وتتضمن الإفراج عن الاستعدادات والقدرات المختلفة المغروسة في طبيعة الفرد وفطرته.

ولعلنا لاحظنا عند الحديث عن المذهب الطبيعي في التربية إن هذه الفكرة أكدها "جان جاك روسو" زعيم المذهب الطبيعي كما أكدها الذين أتوا بعده من أنصار هذا المذهب في التربية، وإذا كان هناك من فرق بين النزعة النفسية وبين الحركة الطبيعية في هذه الفكرة فهو أن الأولى قد حاولت التعبير عنها بأساليب إيجابية بينما الثانية عبرت عنها بأساليب سلبية.

أيضا من مميزات النزعة النفسية هو محاولة مناصريها التوفيق بين كثير من مبادئ التربية القديمة ومبادئ التربية الحديثة، والتوفيق بين النظريات المختلفة التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر، ومن ابرز مظاهر التوفيق بين مبدأ "الميل والاهتمام" وهو شعار التربية الحديثة وبين فكرة بذل الجهد وهو شعار التربية القديمة؛ ويعتبر هذا التوفيق من النواحي التي تختلف فيها الحركة النفسية عن الحركة الطبيعية، لأن الحركة ركزت كل التركيز في عملية التربية وطرق التدريس على ميل الطفل واهتمامه وعارضت بكل شدة طرق التدريس

1- عمر التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، مرجع سابق، ص197.

1- المرجع نفسه، ص200.

التي تشتق روحها من مذهب التدريب الشكلي والتي تعتمد على كثرة الجهد والتمرين الشاق لملكات الطفل وقواه، غير ناظرة إلى ميوله واهتماماته.

أيضًا من مميزاتها هو تأكيدها للعلاقة بين العمليات النفسية والعمليات الجسمية في التربية؛ كذلك تأكيدها للمبدأ الذي يقول: أن التربية هي عملية نمو لشخصية الفرد، إضافة إلى تأكيدها لعملية الميل، والنشاط الجسمي، والخبرة وتدريب الحواس هذه هي أهم المميزات العامة للنزعة النفسية التي سادت في التربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر[1].

ومن هنا نلاحظ أن الحركة الطبيعية في التربية تعتبر العامل المأثر في النزعة النفسية؛ فهذه الأخيرة لم تكن إلا امتدادا للحركة الطبيعية فليس من الغريب أن تتشابه النزعتان في المبادئ والخصائص.

ومن أبرز المتأثرين بروسو نجد بستالوتزي*[2] فقد اعترف هذا الأخير مرارًا بها ما هو مدين به لروسو ومما قاله: "أن الروح الخيالية وغير العملية التي عندي أخذت بذلك الكتاب الخيالي وغير العملي (ويقصد بذلك إميل)... وان الحرية التي نادى بها روسو أثارت فيّ تشوقًا لا يحد إلى آفاق من النشاط أرحب وأطلق"، والحق أن بستالوتزي امتاز على روسو بأنه عمل من أجل الشعب، وأنه طبق المبادئ التي وضعها روسو لتربية فرد واحد، على عدد كبير من الأطفال. ف "إميل" روسو أرستقراطي، أنه من عائلة راقية. وقد جاءت عليه الطبيعة بالمواهب والثراء. ولا نعثر في الواقع دومًا على تلاميذ على هذا الحظ من المطاوعة والمسايرة لأساتذتهم.

أما بستالوتزي فقد عمل مع أطفال عامة الشعب الطين كان لابد أن يتعلموا كل شيء في المدرسة، لأنهم لم يلاقوا في البيت التشجيع والقدرة اللازمة، نظرا لانشغال آبائهم أو

2- عمر التومي محمد الشيباني، مرجع سابق، ص201.

2- بستالوتزي جون هنري:المربي السويسري الشهير، ولد في "زيورخ" بسويسرا في 1746، وكان والده طبيب جراحا حرم رعاية أبيه منذ نعومة أظفاره ولم يرزق بأم صالحة، من أهم مؤلفاته في التربية كتاب بعنوان مذكرات والد وكان هذا الكتاب أول ماظهر في دراسة نفسية الطفل انظر عمر التومي الشيباني، مرجع سابق، ص211.

إهمالهم، ولأنهم كانوا في سبات عقلي خلال السنوات المبكرة من حياتهم. فكان لا بد إذن من تمرينات عديدة لهؤلاء الأطفال، هذه التمرينات التي تعتبر عديمة الفائدة لو كان التعليم يلقى على أطفال آخرين من طبقة أخرى. وقيل أن نهزأ أو نقلل من قيمة تجارب بستالوتزي وتجارب المعلمين الآخرين الطين عملوا معه، علينا أن نأخذ بعين الاعتبار كيف استخدم هذه الطرائق ولأي هدف نبيل ساقها. فبستالوتزي هو بحق المنظم الفعلي لتربية الطفولة والشعب، وهو جدير باحترام كل من يعنيا مستقبل جماهير الشعب[1]

كانت هذه أهم مؤثرات روسو في الفلاسفة الذين جاءوا بعده والذين تأثروا بفكره واعترفوا بفضله في تطور نظرياتهم لكن على الرغم من هذا يوجد من رفض أفكار روسو التربوية وأعتبرها هذيان مجنون أرهقته الحياة وأتعبته المحن.

المطلب الثاني: أهم الإنتقادات الموجهة لروسو وفكره التربوي

لقد وجهت الكثير من الانتقادات لفكر روسو التربوي من خلال مذهبه الطبيعي فمن خلال ما سبق يمكننا أن نحصي الكثير من هذه الانتقادات نذكرها في ما يلي:

- إبعاد الطفل عن المجتمع وتركه في أحضان الطبيعي أمر غير واقعي ,لان الطفل بحاجة إلى الآخرين حتى يدرك نفسه وينمي إحساسه من خلال إدراك الآخرين وأحاسيسهم.
- تقليل أهمية الكتب أمر لا يمكن أخذه بعين الاعتبار لان الكتاب أصبح وسيلة فاعله لا غنى عنها في عملية التعلم.
- قام روسو بتقسيم مراحل نمو وتربية الطفل إلى أقسام منفصلة وجعل لكل مرحلة خصائصها ووسائل تعليمها ووضع الجانب الوجداني في المرحلة الأخيرة ولكن علماء النفس والتربية وجدوا انه موجود مع الطفل في كل مراحل حياته.

1 – عبد الله عبد الدايم، مرجع سابق، ص428.

- قال روسو إن ميول الطفل وقدراته تظهر تلقائيا وذاتيا ولكن من المعروف إن كثير من الميول والقدرات ليست فطرية وإنما تكون نتيجة احتكاكه ببيئته وبالعالم الخارجي..
- آراؤه في تربية البنات تعد من أكثر الآراء تطرفا ولا يمكن الأخذ بها.

وبطبيعة الحال كما قلنا سابقًا أن هناك من عارضو ما جاء به روسو وهم الفلاسفة الذين أتوا بعده ومن ابرز الانتقادات كانت من برتراند راسل RUSSEL BERTRAAND [1] حيث انتقده في عدة مواقف نذكر منها:

اعتقاد روسو أن الأطفال أهل فضيلة حيث قال راسل في هذا: " لقد أعتقد روسو أن الأطفال أهل فضيلة بفطرتهم، وأنهم إنما يفسدون بمشاهدة رذائل من يكبرونهم سننا، ولقد نسب هذا الرأي إلى روسو وقد قيل عنه أنه غلطة من الناحية العلمية، ولعل رأيه كان نظريا، لكن من يقرأ كتاب إميل يجد أنه كان بحاجة إلى كثير من التربية الخلقية قبل أن يصير الفرد الفذ الذي كان تخريجه مقصودا من نظام روسو. والواقع أن الأطفال ليسوا (أخيارا) ولا (أشرارا) بالفطرة فهم يولدون وليس فيهم إلا بعض غرائز وانعكاسات، ومن هذا تنتج العادات بتأثير البيئة والوسط، والعادات إما صحيحة وإما سقيمة وأيهما تكون يتوقف على حكمة الأمهات أو المربيات"[2].

ونلاحظ راسل هنا يؤكد أن الأطفال ليسو أخيارا ولا أشرارا بل البيئة هي التي ترسم فيهم هذا لقد حارب روسو التربية الشكلية التي تفتقر إلى الجانبين العاطفي والأخلاقي وركّز على أهمية تربية الطفل في المرحلة الأولى، وفي الوقت ذاته وضع أطفاله في دار اللقطاء يقول راسل في هذا الصدد: " لكن الحب وغلبة العاطفة لا يمكن أن يوجدا معا، فالوالد أو

1 – برتراند راسل RUSSEL BERTRAAND: فيلسوف إنجليزي ولد في رافنسكروفت (بريطانيا) في 18 ايار 1872 توفي في 2 شباط 1970 مال إلى الرياضيات في سن مبكر ودرس الفلسفة متأثرا بهيجل من أهم مؤلفاته المنهج العلمي في الفلسفة ومدخل إلى الفلسفة الرياضية أفاق الحضارة الصناعية وفي التربية راجع جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص320.

2 – برتراند راسل، في التربية، ترجمة سمير عبده، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الأولى، بيروت، ص34.

الوالدة التي تحب طفلها ترغب أن يعيش ولو أستدعى الأمر استخدام الذكاء ومخالفة العاطفة، لذلك نجد غلبة العاطفة أقوى ما يكون بين الناس الذين لا أطفال لهم، وبين الذين يميلون مثل روسو إلى إيداع أطفالهم ملاجئ اللقطاء"[1].

1 – المصدر نفسه، ص56.

خلاصة

خلاصة:

وفي الأخير ومن خلال الغوص في أعماق الفلسفة الطبيعية في التربية نستنتج ما يلي:

- إن التربية عملية مستمرة تخص جميع أفراد المجتمع.
- التربية موضوع يخص الآباء والمعلمين والفلاسفة أيضا لذلك تأخذ عدة معاني لأنها عملية ضخمة تتصل بحياة كل فرد مهما كان موقعه وثقافته.
- التربية تنطلق من المجتمع إلى الفرد، وتتجه نحوى تهذيب سلوكات الفرد وتنمية وظائفه الحسية والعقلية النفسية.
- أهمية التربية تكمن باختصار في البناء والإصلاح.
- التربية عملية مستمرة عبر العصور فهي في تطور دائم من خلال تغير أحوال المجتمع.
- إن الفلسفة الطبيعية اتجاه فلسفي عريض، عرفه تاريخ الفلسفتين اليونانية والحديثة؛ وهي في الحقيقة نظام فلسفي يعتمد على الطبيعة.
- إن حركة التنوير هي الحركة التي مهدت لظهور الحركة الطبيعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.
- يعتبر جان جاك روسو الرائد الأول لهذا الاتجاه فهو أول من وضع أسسه ومبادئه في القرن الثامن عشر.
- المذهب الطبيعي يقوم على الإعلاء من شان الطبيعة المادية والطبيعة البشرية والدعوة إلى الحياة الطبيعية.
- تأمن الحركة الطبيعية بالعواطف والمشاعر الإنسانية، والإيمان بالطبيعة الخيرة للإنسان.

الخلاصة

- تنص بوجوب الحركة الطبيعية بوجوب تربية الطفل بما يتفق وطبيعته وميوله وحاجاته الحاضرة ويتمشى بقوانين الطبيعة بصفة عامة.
- يرى روسو بأن مصادر التربية هي الطبيعة، والإنسان، والأشياء.
- ثار روسو على التربية التقليدية وبالضبط على نظرتها إلى الطفل.
- تحقق التربية عند روسو هدفها عندما تسمح للطفل أن يعيش حياته وفق ميله الطبيعي.
- كتاب إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد؛ هو كتاب يعكس عبقرية روسو وفطنته، فقد أوضح فيه آراءه التربوية عن المجتمع والتربية.
- أعطى روسو لكتابه أميل كل الوقت والجهد وأثرى من قيمته وأولاه من الرعاية والاهتمام وحاول الإصلاح في المجتمع الأوروبي بقدر المستطاع على الرغم من التحديات التي واجهها.
- إن حياة روسو التي غلب عليها طابع الإثارة والتمرد والجنون وسرعة الحركة والإنتقال في دائرة الزمان والمكان؛ كان لها أثر كبير في تنمية عواطفه المتمردة وحسه الإنساني النبيل.
- كل ما مر على روسو انعكس بالإيجاب على عبقريته ومؤلفاته وآراءه التربوية التي لم تفارق ولو للحظة حب الطبيعة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

أ- باللغة العربية:

- القرآن الكريم

1. أفلاطون، في السفسطائيين والتربية(محاورة بروتاغوراس)، ترجمة وتقديم غرت غرني، دار قباء للنشر، الطبعة الأولى،2001.
2. برتراند راسل، في التربية، ترجمة سميرة عبده، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الأولى، بيروت، دون سنة.
3. جان جاك روسو العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، نقله إلى العربية عادل زعيتر، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية، لبنان،1995.
4. جان جاك روسو، أحلام يقظة (جوال منفرد)، ترجمة وتعليق ثرية توفيق، مراجعة صالح جودة، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، القاهرة،2009.
5. جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، مصر،2012.
6. جان جاك روسو، اعترافات جان جاك روسو، ترجمة حلمي مراد، دار ميوزك، الطبعة الأولى، القاهرة، 1998.
7. جان جاك روسو، اميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، الشركة العربية للطباعة والنشر،الطبعة الأولى.

8. جان جاك روسو، دين الفطرة أو عقيدة القس من جيل السافورة، نقله إلى العربية عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، المغرب،2012.

9. جون ديوي، الديمقراطية والتربية(مقدمة في فلسفة التربية)، نقله إلى العربية منى عفراوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثانية، القاهرة،1954.

10. جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الوحيد، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية،1987.

11. ديف روبسون وجودي جروفرز، أقدم لك أفلاطون، ترجمة إمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، 2001.

12. روبرت ووكلر،روسو، مكتبة هنداوي، الطبعة الأولى، القاهرة،20014.

13. فؤاد زكريا، جمهورية أفلاطون، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1985.

14. ول ديورانت، قصة الحضارة (روسو والثورة)، ترجمة فؤاد أندراوس، مراجعة علي ابراهيم، الطبعة الأولى، بيروت. دون سنة.

ب- باللغة الأجنبية:

1-j. j. rousseau: emile ou de l'éduactioon, edition gallimard, France,1999.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم مصطفى وغيره، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء، الطبعة الأولى، الإسكندرية. دون سنة.

2. أحمد محمد الطيب مرسي، أصول التربية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، مصر، دبي.
3. أمدريه صيام، روسو حياته منتخبات، ترجمة نبية صقر، منشورات عويدات، الطبعة الرابعة، بيروت،1883.
4. سعيد إسماعيل علي، الأصول الفلسفية للتربية، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 2000.
5. شبل بدران، الاتجاهات الحديثة في التربية (طفل ما قبل المدرسة)، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، القاهرة،2002.
6. عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، دمشق، 2011.
7. عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت، 1984.
8. عزة أحمد صيام، تاريخ الفكر الاجتماعي، جامعة بنها، الطبعة الأولى، بنها، 2012.
9. علي القائمي، تربية الطفل دينيا وأخلاقيا، مكتبة فخراوي، الطبعة الأولى، الأردن، 1995.
10. عمر التومي محمد الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة،الطبعة الأولى، بيروت، 1976.
11. لطيفة حسن الكينيدي، بدر محمد مالك، تعليق أصول التربية، مكتبة الفلاح، الطبعة الثالثة، الكويت، 2005.
12. ماجد فخري، أرسطو طاليس المعلم الأول، المطبعة الكاثوليكية،الطبعة الأولى، بيروت، 1985.

13. محمد الفرحان، الخطاب الفلسفي التربوي، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى، بيروت، 1999.

14. محمد منير مرسي، في أصول التربية، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 2001.

15. وائل عبد الرحمان التل وأحمد محمد شعراوي، أصول التربية التاريخية، دار حامد للنشر، الطبعة الثانية، الأردن،2007.

الدراسات السابقة:

1. عبد الحفيظ البار، فلسفة التربية عند جون ديوي، جامعة منتوري قسنطينة، إشراف:جديدي محمد، 2010/2009.

المعاجم و الموسوعات:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، الجزء الثالث، القاهرة.
2. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، بيروت، 2001.
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، 1982.
4. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهتيون، المتصوفون)، دار الطليعة، الطبعة الثالثة، لبنان، 2006.
5. علي مولا، أطلس الفلسفة، المكتبة الشرقية، الطبعة الثانية، بيروت، 2007.
6. فاروق عبده فلية، أحمد عبد الفتاح زكي، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، دار الوفاء، الطبعة الأولى، مصر، 2004.
7. نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم (أعلام علم النفس وأعلام التربية والطب النفسي والتحليل النفسي)، دار الصداقة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2002.

ملخص:

تتناول هذه الدراسة أهم ما جاءت به الفلسفة الطبيعية في مجال التربية والتي شكلت ونزعتها التربوية بزعامة الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو انعطافا كبيرا في مضمار الفكر الفلسفي والميدان التربوي، مما أثر على المدارس الفلسفية المختلفة، فالحركة الطبيعية لم تكن مدرسة فلسفية سعت لملء مناطق الفراغ التي تولدت من الأزمة الفلسفية والتربوية التي عانت منها المدارس السابقة عليها والمعاصرة لها وحسب، وإنما حملت راية النقد للمدارس الفلسفية والتقاليد الفكرية والتربوية التي كانت سائدة في العصور السابقة.

تمر هذه الدراسة بعدة محطات في التربية وتاريخها عبر العصور وتركز على العصر الحديث أين ظهر الاتجاه الطبيعي بزعامة روسو قائد لتربية الحديثة وأهم أفكاره في التربية وأبرز المؤثرات التي بلورت الفكر التربوي عنده إضافة إلى الحالة الطبيعية والمدنية عنده وأبرز الاتجاهات التي تأثرت به.

فالفلسفة الطبيعية تتسم بطابعها الفريد في طرح الأفكار الجريئة حيث أعلت من شأن الإنسان وهذا ما لم تفعله الفلسفات السابقة فجان جاك روسو اهتم بالبُعد الإنساني وأخذ في بلورة الفلسفة الطبيعية وذلك في كتابه (إميل) فرسم للتربويين مسار التعليم ورسخ دور الطبيعة لا المدرسة في تنمية الأطفال. فقصة إميل تجسد أهمية الطبيعة في تربية الطفل تربية صحيحة تحرره من المدارس والأنشطة الصفية التي تُكَبل النفس بقيود كثيرة، وتكبل الفكر بكوابح عديدة، وتمنع الطفل من الانطلاق والتعلم والتمتع بالعالم الفسيح من حوله والذي يحتوي على خبرات ثرية تفي بحاجته وتلبي طموحاته، طالب روسو بتلبية احتياجات الطفل وضرورة إزالة العقبات التي تواجهه وفقا لمتطلبات بيئته على أن لا تتنافى طرائق التعليم مع حرية الطفل ونموه.

résumé

Cette étude traite l'idée la plus importante de la philosophie naturelle dans le domaine de l'éducation qui a formé la tendance éducative, dirigée par le philosophe français Jean-Jacques Rousseau tournant avec une influence important dans le domaine de la pensée philosophique et domaine de l'éducation, qui a touché les différentes écoles philosophiques, mouvements naturels à n'était étaient pas à l'école philosophique et cherché à combler les zones vides générées à partir de crise philosophique et pédagogique subi par l'ancienne école et contemporaine, mais aussi porté la bannière de critique pour les écoles de la t philosophie traditionnel et intellectuel et éducatif qui prévalaient dans les époques présidentes .

Cette étude a connue plusieurs stations dans l'éducation et l'histoire à travers les âges et se concentre sur moderne, Où ie apparut direction naturel, dirigée par Rousseau, commandant de l'éducation moderne et les idées les plus importantes dans l'éducation et a mis en évidence les effets qui se sont cristallisées pensée éducative avec lui en plus du naturel et de l'affaire civile a mis en évidence les tendances qui sont influencés par elle.

philosophie naturelle caractérisée par son caractère unique de demander des idées audacieuses comme donnant lieu à l'homme comme celui-ci, qui la fait pas autre philosophie présidents Fjan Jacques Rousseau se souciait de la dimension humaine et de prendre dans le développement de la philosophie naturelle et dans son livre (Emile). Il a été ordonné pour le chemin de l'éducation des éducateurs et cimenté le rôle de la nature n'a pas l'école dans le développement des enfants. L'histoire d'Emile incarne l'importance de la nature dans l'éducation de l'éducation des enfants véritable libération de classe de l'école et les activités qui manille auto beaucoup de restrictions, met la pensée pour beaucoup obstacle , et d'empêcher les enfants de commencer, apprendre et profiter du vaste monde autour de lui, qui contient une riche expertise pour répondre à ses besoins et répondre à leurs aspirations, Rousseau a exigé de répondre aux besoins des enfants et la nécessité d'éliminer les obstacles qui lui fait face, selon les exigences de l'environnement qui ne sont pas incompatibles avec la liberté des méthodes d'enseignement et le développement des enfants.